



استقلال صربيا وخروجها من قبضة السيطرة العثمانية

Serbia's independence and its liberation from Ottoman control

م.د. صباح صيوان عويد نعيمش جمهورية العراق, وزارة التربية

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار - العراق

Sabah.Seawan@utq.edu.iq

تاريخ النشر: 14 / 05 / 2026	تاريخ القبول: 29 / 04 / 2026	تاريخ الإرسال: 24 / 04 / 2026
-----------------------------	------------------------------	-------------------------------

الملخص:

كثيراً ما نجد صراعات في التاريخ والاطراف المتصارعة والمنقادة لذلك الصراع , أما ان تكون متصارعة من اجل مد نفوذ والتوسع على حساب الطرف الآخر , او من اجل تسجيل نصراً يحقق الازلال للخصم وبسط السيطرة على أراضيه وممتلكاته وجعله دولة مستعمرة , ولكن صراع الصرب مع الدولة العثمانية هو صراع من اجل التحرر والاستقلال من سيطرة ملاكي الاراضي من الاتراك ومن بطش الجيش العثماني الانكشاري الذي اصبح افراده منفلتين من السيطرة في تعاملهم مع السكان وسطوة سيطرتهم على الاراضي الزراعية , لذا هو صراعاً مشروعاً للتحرر والاستقلال او اعطائها شيء من الحق في ادارة شؤون نفسها (حكماً ذاتياً) والذي كان يطمع الية عامة الصرب وقادتها كخطوه اولى في مسيرة النضال من اجل الاستقلال التام , وخدمت صربيا في تلك المرحلة التاريخية التنافس الشديد بين الدولة العثمانية وهي في موضع الضعف وروسيا القيصرية في وضع القوة اذ كثيراً ما كان يعول قادة الصرب على المساعدة والاسناد الروسي لهم ويغتنم قادة الثورة الصربية الوضع المتقهقر والمنهزم من الدولة العثمانية في تقديم طلباتها للحصول على فرمان يعطيها شيء من الحريات حتى عد ذلك نصراً للشوار الصرب .

الكلمات المفتاحية : الصرب , العثمانيون , الانتفاضة , الثورة , ميلوش ابرنوفتش , قرة جورجي .

Abstract :

We often find conflicts in history, and the conflicting parties and those led by that conflict, either in order to extend influence and expand at the expense of the other party, or in order to record a victory that achieves the humiliation of the opponent and extends control over his lands and properties and makes him a colonial state. However, the Serbian struggle against the Ottoman state was a struggle for liberation and independence from the control of Turkish landowners and from the oppression of the Ottoman Janissary army, whose members had become uncontrollable in their dealings with the population and their dominance over agricultural lands. Therefore, it is a legitimate struggle for liberation and independence, or to grant them some right to manage their own affairs (self-rule), which the general Serbian public and their leaders aspired to as a first step in the struggle for complete independence. Serbia served the interests of the intense rivalry between the Ottoman Empire, which was in a position of weakness, and Tsarist Russia, which was in a position of strength. Serbian leaders often relied on Russian assistance and support, and the leaders of the Serbian revolution took advantage of the Ottoman Empire's retreating and defeated position to submit their requests for a decree that would grant them some freedoms, which was considered a victory for the Serbian revolutionaries.

Keywords: Serbs, Ottomans, uprising, revolution, Miloš Abrenović, Karađorđe.



المقدمة :

كانت صربيا عبر تاريخها الطويل مسرحاً للأحداث الإقليمية والدولية ، ولاسيما قبل السيطرة العثمانية عليها ، وكانت من اهم بؤر الصراع العرقي والديني في البلقان ، بسبب موقعها الجغرافي المتميز في شبه جزيرة البلقان ، ظلت صربيا خاضعة للباب العالي مدة طويلة من الزمن بالرغم من ان حكمة كان غير مباشر ، ولم تستمر على وتيرة واحدة نتيجة حالة الضعف التي مر بها الدولة العثمانية وبسبب بعد باشوية بلغراد عن اسطنبول وعدم سيطرتها على الكثير من الامور بشكل مباشر ، ولاسيما وانها كانت تعتمد على الجيش والقوات الانكشارية الذين غالباً ما يخرجون عن طاعة السلطان العثماني آنذاك مستغلين حالة الضعف في اغلب المؤسسات الادارية التي شكلها العثمانيون في صربيا ، مما أفضى إلى تأجيج عزيمة الانتفاضة لديه لا سيما بعد نفاذ صبره جراء الأوضاع السيئة التي مرّ بها وتأسيساً على ذلك ، قام الشعب الصربي بمختلف فئاته بانتفاضة هائلة ضد العثمانيين والتي كان لها مغزى جسيم بالنسبة لهم ، لأن تطلعاتهم لم تقتصر على الزوال من الظلم والتسلط وحسب ، بل تجاوزت ذلك بالسعي الحثيث لنيل الحرية وإدراك السيادة الوطنية ونالت تلك الثورة مساندة دولية غير أن ذلك التداخل كان له تأثير بوهن الثورة وتبديل مقاصدها إذ سارت وقائع الثورة بما يتوافق مع مصالح الدول العظمى.

المبحث الاول

أولاً : لمحة جغرافية عن صربيا :

صربيا هي دولة جمهورية في قلب البلقان يحدها من الشمال المجر ومن الشرق رومانيا وبلغاريا ومن الجنوب جمهورية مقدونيا وجمهورية كوسوفا ومن الغرب كل من كرواتيا والبوسنة والجبل الأسود ، وتبلغ مساحة صربيا ٨٨,٣٦١ كم^٢ وعدد سكانها حوالي ١٠ ملايين نسمة وأهم مدنها وعاصمتها هي بلغراد وتتكون من إقليمين هما كوسوفو وفويفودينا.⁽¹⁾ لا يمكن النظر إلى صربيا بمفردها عن دول البلقان ، إذ إن موقعها في مركز شبه جزيرة البلقان ، جعل من المتعذر فصلها عن الإطار الجغرافي والسياسي للمنطقة ، ويعود منشأ لفظ بلقان لغويًا ، إلى أصل تركي يعني الجبل.⁽²⁾ وعرفت بأسماء مختلفة ، بحسب تعاقب الشعوب التي سكنتها ، إذ عرفها قدماء الإغريق بجبال إيموس او هيموس وعند مجيء سلاف الجنوب أطلقوا عليها تسمية ستارازغورا أي الجبال القديمة ، وبعد احتلال العثمانيين لها عرفت باسم جبال البلقان ، وفيما بعد ترسخت تلك التسمية أكثر ، وبعد ارتباطها بالحكم العثماني للتطورات السياسية التي لحقت بها مؤخراً ، أطلق العثمانيون الروملي أي بلاد الروم في حين نعتها الأوروبيون تركيا الأوروبية إلى أن جاء

(1) مصطفى أحمد أحمد وحسام الدين ابراهيم عثمان ، الموسوعة الجغرافية ، ج1 ، ط1 ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص 47 .

(2) علي حسون ، العثمانيون والبلقان ، ط2 ، المكتب الاسلامي 1985 ، ص 7 .



العالم الجغرافي الألماني اوغوست زيو (August Zeune) عام 1809 ليطلق عليها تسمية شبه جزيرة البلقان وهو اسم من طبيعة المنطقة لا من تبعيتها السياسية⁽¹⁾.

وتعتبر صربيا دولة حبيسة ليس لديها منفذ مائي بعد أن انفصلت عنها جمهورية الجبل الأسود عام ٢٠٠٦، والمعتقد الرسمي في صربيا هو المسيحية الأرثوذكسية إذ يتدين أغلب سكانها مع أقلية إسلامية. يوجد في صربيا إقليم يتميز بحكم ذاتي هو فويفودينا في الشمال، وتمتد سهول بانونيا في شمالي صربيا وتنتشر التلال والجبال في باقي أنحاء القطر⁽²⁾ وتقع صربيا في شبه جزيرة البلقان التي تشمل كل من اليونان، وبلغاريا، وألبانيا، وكرواتيا، والبوسنة والهرسك، ومقدونيا، والجبل الأسود، ورومانيا⁽³⁾.

أكبر أنهارها الدانوب وله رافدان نهر مورافا الذي ينبع من تلال جنوبي البلاد وأواسطها ثم نهر سافا الذي يتخذ مساراً شرقياً قبل أن يصل إلى نهر الدانوب عند بلغراد، وتجتاح بسهول بنونيا في فصل الشتاء رياح شديدة البرودة تدعى كوشافا أما في فصل الصيف مناخها حار جاف إذ ترتفع درجة الحرارة إلى 38° م وتبلغ درجة الحرارة في بلغراد صفر° م في شهر يناير بينما يكون معدل 23° م في شهر يوليو وتسقط الثلوج شتاءً⁽⁴⁾ وتهطل معظم الأمطار في فصل الصيف وتوجد أجود أنواع الأراضي في فويفودينا وصوماديا في جنوب بلغراد حيث تزرع محاصيل البطاطس والبنجر والقمح والذرة فضلاً عن تربيته قطعان الأبقار والأغنام ويتوافر لدى الصرب مواد أولية منها الفحم الحجري والنحاس والرصاص والزنك⁽⁵⁾ وذلك انعش الاقتصاد الصربي بعد الحرب العالمية الثانية حتى أواخر السبعينات من القرن العشرين لكنه أخذ يتدهور بعد ذلك⁽⁶⁾.

ثانياً : الاوضاع الاقتصادية :

غالباً ما كان الصرب يعيشون في عائلات كبيرة واسعة ويسكنون في بيوت من خشب والحجارة وعادة في قرى الأراضي المرتفعة التي كانت مبعثرة على مساحات واسعة وأما تتخذ شكل الخطوط⁽⁷⁾.

صربيا بلد جبلي تغطي أرضه الغابات ولهذا فإن أساس النشاط الاقتصادي فيه كانت تربية الحيوانات ولاسيما الخنازير وكان الصربيون يصدرون ماشيتهم ويبيعونها على نطاق واسع في الأسواق⁽¹⁾ يبيعون الماشية إلى البوسنيين

(1) محمد الأرناؤوط، البلقان من الشرق إلى الاستشراق، منتدى العراقات العربية الدولية، قطر، (دلت)، ص 9-10.

(2) صربيا - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة: file:///localhost/H:/الموسوعة الحرة/

(3) محمد محمد قاروط، هموم ومشكلات مسلمي البلقان كوسوفا ومقدونيا بلغاريا، دار المكتبي، دمشق 2000، ص 12

(4) مصطفى أحمد أحمد، المصدر السابق، ص 47.

(5) صربيا - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة: file:///localhost/H:/الموسوعة الحرة/

(6) مصطفى أحمد أحمد، المصدر السابق، ص 47.

(7) ثريا فاروقي وبروس مالك خوان ودونالد كواترت وشوكت باموك، ترجمه د. قاسم عبده قاسم، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية / المجلد الثاني 1600-1914، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧، ص 392.



ويبيعون الخراف والماعز الى المسلمين منهم أما الخنازير فيبيعونها الى السكان الذين كانت أعدادهم تتزايد على حدود الهابسبرك⁽²⁾ بحيث أصبحت تجارة الماشية المصدر الرئيس للدخل بالنسبة الى القسم الموسر من الفلاحين الصربيين، أما التجارة الداخلية فكان تطورها مرتبطة بظهور الاسواق المحلية والاسواق الموسمية ولاسيما التابعة منها للأديرة، ومع تطور التجارة الداخلية بدأت المدن بالنمو وبرزت من بينها بلغراد والتي اخذت تتحول الى مركز كبير للتجارة الداخلية والخارجية⁽³⁾ حوصرت مدينة بلغراد وتم فتحها عدة مرات قبل عودتها نهائياً الى السيطرة العثمانية عام ١٧٣٩ وخلق تناقص في عدد السكان ودمار لحق في عدد كبير من المباني في المدينة⁽⁴⁾ واعيد الحكم الى صربيا وقيمت حامية كبيرة من الانكشارية اي أكبر من أي وقت مضى وسرعان ما صار مجندي الانكشارية مشكله لحكومة الولاية لان مرتباتها كانت هزيلة وأخيراً سيطر الانكشاريون على القرى الصربية وأسوا مزارع وأخذوا الاموال من السكان وتصرفوا وكأنهم جباة ضرائب، ونظراً للزيادة الطبيعية والهجرة فأن سكان بلغراد التي اعيد فتحها بشكل واسع عام ١٧3٩ ارتفع عددهم بشكل ملفت حتى عصبان ١٨٠٤ ومع ذلك كانت الارض عشية العصيان متوافره لدرجه ان تربية الحيوان كانت هي السائدة في حين اعتمدت بلغراد على مقاطعات الهابسبرك عبر الدانوب والسافا للحصول على حاجاتهم من الحبوب⁽⁵⁾ وفي أواخر القرن الثامن عشر عهد إلى حامية من الانكشارية بالدفاع عن تلك المدينة الحدودية وقد سببت هذه الحامية متاعب كبيرة للسكان المدنيين وللحكومة العثمانية المركزية أيضاً والواقع انه بعد مده قصيره بذل السلطان سليم الثالث جهود كبيرة لأجلاء الانكشارية عن بلغراد لكنه لم ينجح⁽⁶⁾ الا ان التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي كان يجري في الريف الصربي أخذت العلاقات السابقة بالتحلل وظهرت بين المزارعين أفراد يعملون في التجارة ورعاية الماشية بغرض التصريف بشكل أشمل وبذا تشكلت في الأرياف طبقة ميسورة أصبحت ذات سلطة واسعة لا سيما وأن وكلاء الإدارة المحلية في الريف كانوا يُنتقون من ضمنهم، ومع ذلك فإن هذا الارتقاء الاقتصادي والاجتماعي كان يصطدم بالهيمنة العثمانية وبالاستغلال الذي فرضه العثمانيون على صربيا ولهذا نرى الصربيين يسعون بكل الطرق للتخلص من الحكم العثماني الذي رأوا إنها مساس بكرامتهم الوطنية وسلب لذاتهم القومية لذلك شاركوا على نطاق واسع في الحرب الروسية العثمانية ١٧٨٧ - ١٧٩٢ وشكلوا على أراضي النمسا فصائل عسكرية من المتطوعين اشتركت في الحرب مع روسيا وتزعمها تاجر كان يعمل داخل صربيا بحيث أطلق على نضال الصربيين ضد العثمانيين اسم حرب كوتشي نسبة اليه⁽⁷⁾.

(1) هاشم التكريتي، المسألة الشرقية / المرحلة الاولى ١٧٧٤ - ١٨56، بغداد ١٩٩٠، ص 59.

(2) ثريا فاروقي وآخرون، المصدر السابق، ص 392.

(3) د هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 59.

(4) ثريا فاروقي، ترجمه: حاتم الطحاوي، الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ط ١، دار المدار الاسلامي، بيروت ٢٠0٨، ص 135.

(5) ثريا فاروقي وآخرون، المصدر السابق، ص 94.

(6) ثريا فاروقي، المصدر السابق، ص 135.

(7) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 60-61.



وخلال القرن الثامن عشر واجه الصربيون ظروفًا مختلفة وبتجارة متحسنة مع بني جلدتهم عبر الحدود الشمالية ولكن أمن تهمده معارك مستمرة بين السلطان ومجندي الانكشارية في حامية بلغراد، ويبدو ان الظروف الفعلية التي عاشوا في ظلها كانت افضل مما كانت عليه في أراضي الهابسبرك ويتضح هذا من خلال الاعداد الكبيرة من المهاجرين العائدين ولاسيما بعد نهاية الحرب والواقع ان اتفاق مؤرخي الصرب على انه خلال السنوات الجيدة الاستثنائية ١٧٩٢-١٧٩٦ حين تم طرد مجندي الانكشارية هي ثمة سنوات قليلة من دون ملاكي الاراضي من الانكشارية الذين فرضوا انفسهم وتلتها عدة سنوات صعبة بعد عودتهم الى الأراضي وكانت النتائج مدمرة وذلك لان الصرب سمح لهم بحمل السلاح في تلك الاوقات المضطربة واعتادوا على استخدامه للدفاع عن انفسهم وهكذا فإن طعم التقدم الذي خلف وراء حضائر المواشي والاستقرار اصبحت كلها عناصر اضطراب في وضع ثوري⁽¹⁾، بذلت الحكومة العثمانية جهوداً حقيقيه لاستعادته السيطرة على أراضيها واتبعت سياسة تضمنت اعادة تنظيم الطرق البرية ومراقبتها⁽²⁾.

أما عن الزراعة وملكية الارض فقد لوحظ في مطلع القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قيام صراع بين أصحاب الاقطاع العسكري العثماني التقليديين الذين كانوا يسعون الى تحويل الارض التي بحوزتهم الى ملك خاص بهم يستخدمون فيها عمل الفلاحين التابعين لهم وبين الانكشارية الذين كانوا حتى ذلك الوقت قد تحولوا الى جنود منفلتين فأخذوا يعملون على إخضاع الفلاحين والاستحواذ على أراضيهم بمختلف السبل⁽³⁾.

ومؤخراً كان على رؤساء الصرب مجابهة معضلة إخراج بلادهم من التخلف العميق وإدخالها إلى العصر الحديث من ناحية تأسيس جملة من التواصل وتأمين ظروف مواتية للتجارة والتبادل الاقتصادي وإقرار منظومة تعليمية قومية ولما كان أغلب الصربيين من المزارعين فقد كانت مسألة الرقعة الزراعية من حيث الحيازة والاستثمار وروابط الإنتاج لها أهميتها القصوى على باقي المعضلات حينها⁽⁴⁾.

إن قضية النمو الاقتصادي والاجتماعي في صربيا كانت تتمحور أساساً حول معالجة مشاكل المزارعين الذين يشكلون ٩٥٪ من الأهالي. وكان هؤلاء الفلاحون يطمحون إلى حيازة الأراضي التي يزرعونها ملكية كاملة، خاصة وأن ثورة الاستقلال التي شاركوا فيها أوقفت الملكية العقارية للأتراك في المناطق الريفية. غير أن هذا التقدم لم يجلب أي مكاسب مادية للفلاحين الذين صاروا يسددون ضريبة للدولة نسبتها ١٠٪، وتحولت أعمال السخرة في ممتلكات

(1) ثريا فاروقي، وآخرون، المصدر السابق، ص 394-395.

(2) ثريا فاروقي، المصدر السابق، ص 135.

(3) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 60.

(4) تشارلز بيلافتش وبريارا بيلافتش، ترجمة: عاصم دسوقي، تفكيك أوروبا العثمانية (إنشاء دول البلقان القومية) ١٨٠٤ - ١٩٢٠، ط 1، 1، دار العالم الثالث، القاهرة، ٢٠٠٧، ص 65.



الأترك إلى المشاركة في مشاريع عامة كشق الطرق وما شابه. بمعنى أن الحكم الذاتي للصرب أفضى فعلياً إلى أعباء أكبر على المزارعين مقارنة بالأعباء التي كانوا يتحملونها في الفترات السابقة.

أما تزايد أعباء الرسوم على كاهل الفلاحين فلم يكن مردّه فقط مساعدة الحكومة في تلبية نفقاتها الكبيرة، بل كان يرجع أيضاً إلى تحول الأوضاع المالية. فإبان الحكم العثماني، كان الفلاح يعيش في سياق اقتصاد الحاجة لا اقتصاد السوق، حيث ينتج تقريباً كل ما يحتاجه ويسدد الرسوم المقررة عيناً. ولكن مع تأسيس كيان جديد يسعى لإنشاء هيكل حكم عصري، كان من الضروري دفع الرسوم نقداً بدلاً من العين. وفي الوقت ذاته، اجتاحت موجة من اقتناء المنتجات الضرورية والكمالية كانت في متناول كافة السكان باستثناء الفلاح الذي كان يحتاج إلى المستلزمات الأساسية كالمالح، ثم نما لديه شغف شديد لاقتناء سلع أخرى مثل القهوة والسكر والتبغ والشموع. وفي إطار هيمنة التعامل بالعملة النقدية عوضاً عن المحصول، اضطر الفلاح إلى إيلاؤها اهتماماً أكبر لزراعة المحاصيل التي يمكن بيعها أكثر من اهتمامه بزراعة احتياجات عائلته فقط.⁽¹⁾

في فترة حكم ميلوش أبرينوفيتش، طرأ تحول تدريجي على سمات المدن الصربية. ففي العهد العثماني، كانت كل مدينة تشكّل سوقاً ومراكز إدارية تحت نفوذ الأتراك والإغريق واليهود. ولكن مع بزوغ الحكم الذاتي، شرع الأتراك والحرفيون بمغادرة المدن، وبدأ التجار الصرب يحلون محل نظرائهم من اليونانيين واليهود، وسرعان ما استولوا على تجارة الصادرات، وخاصة في الثروة الحيوانية.⁽²⁾

ثالثاً: الأوضاع السياسية والاجتماعية :

كانت هنالك امبراطورية صربية في العصور الوسطى إلا إن الأتراك اطاخوا بالصربين⁽³⁾، وينتمي الصربون إلى العنصر السلافي وكانت لهم دولة في القرن الثاني عشر ولكن لم تضم جميع الصربون وقد بلغت صربيا شأناً في عهد ملكها (ستيفن لوشان ١٣٣٦ - ١٣٥٦م) الذي استطاع أن يوسع مملكته حتى شملت البوسنة والهرسك ومقدونيا وبلغاريا، ولكن بموته أخذت بالانحلال وانقسمت إلى أجزاء استولوا عليها العثمانيون جزء بعد آخر حتى معركة كوسوفو وبها دخل الصربون في حكم العثمانيون نهائياً، وقد أقر العثمانيون للسكان بحقهم في ممارسة شؤونهم الدينية⁽⁴⁾ وتمثلت الخارطة السياسية لشبه جزيرة البلقان قبل دخول العثمانيون إليها في النصف الثاني من القرن 14، في ممالك مولدا فيا وولاخيا (رومانيا الحالية) وترانسلفانيا (جزء منها يقع في رومانيا الحالية) وممالك صربيا

(1) <http://www.marefa.org/index.php> الثورة الصربية

(2) تشارلز بيلافتش و بربارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 71 - 72.

(3) الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ج2، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 1992، ص 268.

(4) د. محمد محمد صالح، تاريخ اوربا الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤، جامعة بغداد، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٨، ص ١٣٧.



وكرواتيا والبوسنة (القسم الاغلب من يوغسلافيا سابقاً) ومملكة بلغاريا ومملكة اليريا (البانيا الحالية) وأخيراً الامبراطورية البيزنطية (اليونان ومقدونيا والجزء الاوربي من تركيا الحالية) اما من الناحية العقائدية فأن معظم شعوب شبه جزيرة البلقان تدين بالديانة المسيحية على مذهب الكنيسة الشرقية في القسطنطينية ما عدا كرواتيا التي اعتنقت مذهب الكنيسة الغربية في روما , بدأ الاتراك العثمانيون في غضون الحقبة المذكورة أنفأ بالتوسع في داخل شبه جزيرة البلقان وبفضل قيادة سلاطين اكفاء ولحماسة الانتصارات الاولى وللظروف المؤاتية للعثمانيين في اوربا بشكل عام والبلقان بشكل خاص تمكنوا من تحقيق توسعات سريعة واستكملت الدولة العثمانية سيطرتها على البلقان خلال القرن الخامس عشر والربع الأول من القرن السادس عشر ودفعت حدودها شمالاً في اوربا حتى شملت القسم الاكبر من الممتلكات المجرية بضمنها ترانسلفانيا و اجزاء من كرواتيا في الغرب وولاخيا وملدافيا ومناطق شمال البحر الاسود وشبه جزيرة القرم وبذلك يكون العثمانيون قد الغو وجود كيانات سياسية قائمة بذاتها على اسس قوية الى حد ما وهي الامبراطورية البيزنطية وممالك بلغاريا وصربيا والبوسنة وولاخيا وملدافيا وترانسلفانيا واليريا⁽¹⁾.

يتألف المجتمع الصربي من الصرب السلافيين المسيحيين والمسلمين الذين كان قاطبةً من الأتراك العثمانيين علاوةً على بعض اليونانيين والتجار اليهود الذين استوطنوا الحواضر, وكان بين الصرب والعثمانيين تبايناً جلياً عبر المظهر الظاهري إذ فُرض على الصرب أزياء مسيحية وارتداء ثياب سوداء طويلة خاصة نسائهم, وأطلق عليهم وصف (الذمية) واعتُبروا من الناحيتين العقائدية والرمزية أدنى مرتبةً من المسلمين, وغُلقت بتلك المجموعة مهمة تأمين الموارد للدولة, في حين انخرط المسلمون في خدمة الدولة عبر الانسجام بالجيش أو الاضطلاع بالمهام الرسمية الأخرى.⁽²⁾

أن النفوذ العثماني سيطر على البلاد بعد هزيمة الصرب في معركه كوسوفو عام ١٣٨٩م واستمر الحكم العثماني لصربيا اربعة قرون وعلى الرغم من قيام حركات مناهضة لسيطرتهم فأن صربيا لم تنل الاستقلال الا عندما هزم العثمانيون أمام الروس عام ١٨٧٨م⁽³⁾.

تميز النظام الاجتماعي الصربي في المدة التي سبقت الثورة بانقسامات ملموسة بين الطائفتين المسيحية والمسلمة وكانت العلاقات بينهما محدودة للغاية اقتصرت في الغالب على الجزية وجباية الضرائب التي قام بها المختصون في الدولة العثمانية انذاك , وكاد الفصل بين الطرفين ان يكون شبه تام إذ تركز الصرب المسيحيين في المناطق الريفية بينما تواجد المسلمون العثمانيون في المدن والمراكز الحضرية وكان معظمهم من الجنود والموظفون الأتراك فضلاً عن بعض التجار اليهود واليونان الذين استقروا مع الأتراك في المناطق الحضرية وبحلول أواخر القرن

(1) أنس ابراهيم العبيدي, إزمة البوسنة ١٩٠٨-١٩٠٩, منشورات المجمع العلمي, بغداد ٢٠٠٤, ص ٢٣-٢٤ .

(2) نصير مراح محمد السلطاني , الانتفاضة الصربية الاولى 1804 – 1813 , بحث منشور في مجلة كلية التربية – جامعة واسط , المجلد

61 , المجلد 1 , العدد 1 , 2025 , ص 149 .

صربيا - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة: file:///localhost/H: (3)



الثامن عشر اتسمت حياة بلغراد بالجمود نسبياً إذ انحسر النشاط الإداري والاقتصادي في المناطق الحضرية بيد الأتراك والبعض من التجار غير المسلمين بينما احتفظ فلاحوا الريف الصربي بنطاق محدود من الحرية⁽¹⁾.

تكون المجتمع الفلاحي الصربي من وحدات اجتماعية تقليدية عرفت بـ زادروجا التي هي عبارة عن تكتلات أسرية ضمت مجموعة من العوائل ذات روابط نسبية متداخلة خاضعة الى نظام حكم محلي متمثل بمجلس كان أعضاؤه من كبار القوم من ذوي المكانة الاجتماعية والخبرة اما على مستوى القرى فأنيطت السلطة فيها لمجلس الشيوخ الذي تولى مهمة الشؤون الإدارية المحلية وترأس المجلس شخصية عرفت بـ كنفيز يتم اختياره من بين أعضاء المجلس حصراً وفقاً لمعايير متعلقة بالاعتبارات الاجتماعية كالحكمة والسن⁽²⁾.

اما فيما يخص بداية نفوذ العثمانيون في صربيا قام السلطان مراد الاول في عام ١٣٨٦- م بالهجوم على اراضي الامير الصربي لازار هربلياتو نوفيتش وحاصر مدينه نيش التي كانت لها أهمية استراتيجية كبيره كعقدة مواصلات باتجاه الغرب والشمال ومع الشعور بالخطر العثماني بادر الامير لازار الى تشكيل تحالف بلقاني لصد هذا الخطر ضم الامراء الحكام في كوسوفو والجبل الاسود والبانيا وقد برزت فوائد هذا التحالف في اول مواجهة جرت بين الطرفين خلال عام ١٣٨٦- م التي هزم فيها العثمانيون، ونتيجة لذلك أخذ السلطان مراد يستعد للمعركة القادمة من حيث حشد القوات من آسيا الصغرى ومن البلقان (من الحكام الخاضعين له من الصرب والالبان ومنهم الملك ماركو)⁽³⁾ أما في الجانب الآخر نجح الامير لازار في حشد قواته بالإضافة الى قوات بعض الامراء المجاورين له وجرت المعركة في سنة ١٣٨٩- م وانتهت بخسائر كبيرة للطرفين بمن فيهم السلطان العثماني مراد الاول والامير الصربي لازار، أما عن نتائجها ان السلطان الجديد بايزيد ابن مراد اضطر للعودة مع قواته الى العاصمة (ادرنة) ليكون هناك في مثل هذا الوضع لتفادي اي اشكال او صراع على العرش كما ان الامير الصربي استيفان ابن لازار أقر بخضوعه للسلطان وتحول بذلك الى امير تابع ويبدو ان عودة السلطان الجديد بسرعته الى العاصمة وبقاء الأمير ستيفان على رأس الأمانة الصربية كان من الاسباب التي ساهمت في غموض نتائج المعركة خارج البلقان ومن المرجح كما يقول المؤرخ الصربي المعروف راده ميخائيلوفتش مؤلف كتاب (معركة كوسوفو في التاريخ والتراث الشعبي) ان المعركة لم تكن حاسمه وانتهت بخسائر كبيره لكل طرف ولذلك فهتم لدى كل طرف انها هزيمة للطرف الآخر ومن المؤكد ان المعركة لم تكن كما أشير لها لاحقاً الضربة القاضية للدولة الصربية، فالأمير فوك الذي دارت المعركة في أراضيه بقي يناوش القوات العثمانية عدة سنوات أخرى ولم يسيطر العثمانيون على كوسوفو بالفعل الا في عام ١٤٥٩- م عندما سقطت الدولة الصربية وسقطت مدينة (سمدرفو) وهكذا بالمقارنة مع معركة كوسوفو الاولى التي لم تستمر سوى يوماً واحداً فإن معركة كوسوفو الثانية التي لا تذكر الا نادراً كانت مهمه أكثر في تثبيت الوجود العثماني في البلقان وفي صربيا

(1)Glenny, Misha, The Balkans: Nationalism, War, and the Great Powers, 1804–2012, New York, Viking, 2012, p.9 .

(2) نصير مراح محمد السلطاني، المصدر السابق، ص 149 .

(3) محمد فؤاد شكري، صربيا وفتح البلقان في العهد العثماني، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص 103 .



وكوسوفو⁽¹⁾ فقد بقي الأمير جورج أمير صربيا مخلصاً للسلطان العثماني مراد الثاني حتى وفاته وانتقل هذا الاخلاص للدولة العثمانية إلى السلطان الجديد محمد الثاني حيث ارسل قوه صربية للمشاركة في حصار وفتح القسطنطينية في عام 1453م- ولكن ان مواقف الطرفين قد اختلفت بعد الفتح العثماني للقسطنطينية فقد اصبح محمد الثاني يميل الى بسط الحكم المباشر على ارجاء إمبراطورتيه لذلك ارسل محمد الثاني (الفاتح) جيشاً كبيراً الى صربيا وسيطر على المدن الرئيسية في كوسوفو وبقيت صربيا معزولة في أقصى الشمال بعد موت الأمير جورج وسقطت عاصمتها سمدرفو عام 1459م⁽²⁾.

كان سنجق سمدرفو قد توسع في عام 1521م- بعد الفتح العثماني لبلغراد التي كانت تعتبر مفتاح المجر بحيث اصبحت بلغراد مركزاً لهذا السنجق وكان يتبع باشوية بودابست ولكن بعد الحرب النمساوية العثمانية وتخلي العثمانيين عن بودابست في عام 1686م- اصبحت بلغراد مركزاً للباشوية تحمل اسمها وأخذت تبرز أهميتها بسرعه بعدما اصبحت تمثل خط التماس بين الإمبراطوريتين المتصارعتين (النمساوية -العثمانية) ومن هنا فقد ارتبط مصير الصرب في الفترة اللاحقة بالوضع على الجبهة النمساوية - العثمانية⁽³⁾.

عانت صربيا أوائل القرن التاسع عشر من تخلفها في شتى مناحي الحياة وكان معظم أهلها من السلاف المنشغلين بالزراعة ورعاية الماشية مع نفر قليل من العاملين بالتجارة والصناعات اليدوية ولم تكن تخوم صربيا متحدة إدارياً فمقرها المتمثل بـ بلغراد كان باشوية مستقلة بذاتها أما سهوبها الأخرى فكانت موزعة على ثلاث باشويات هي فيدين والبوسنة وليسكوفاتس⁽⁴⁾.

كانت باشوية بلغراد مقراً لأول انتفاضة ناجحة قام بها أهالي البلقان ضد الحكم العثماني وكانت معضلاتها التنظيمية في ختام القرن الثامن عشر في مختلف الميادين تعكس تحديات أرجاء الإمبراطورية في ظل عهد السلطان سليم الثالث حيث كانت صربيا مسرحاً لمناوشات متكررة بين النمسا والدولة العثمانية طوال القرن الثامن عشر تزامن خلالها قدر الصرب مع مصير سلالة آل هابسبورغ التي تحكم النمسا وذلك أن تلك المواجهات وما صاحبها من فوضى واضطراب حث مجموعات ضخمة من الصرب على النزوح إلى المقاطعات النمساوية في البلقان وخاصة في جنوب المجر والحقيقة أنه خلال الصراعات كانت حكومة النمسا تتولى فعلياً شؤون الصرب من الناحية الإدارية وهو أمر لم يكن مستساغاً لدى أغلب

(1) محمد م. الأرنؤوط ، كوسوفوما بين الماضي والحاضر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2008، ص 28-29-32.

(2) محمد فردريك بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار ومؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012 ، ص 115 .

(3) محمد م. الأرنؤوط، المصدر السابق، ص 41.

(4) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق ، ص 59 .



الصربيين نظراً لنشاط الكنيسة الكاثوليكية النمساوية في أراضيهم وهم من الأرثوذكس بصرف النظر عن أن الصرب على غرار النمسا التي تعارض الوجود العثماني (1) .

ان الدولة العثمانية لم تمارس سياسة أسلمه واضحة في البلقان على الشعوب التي أصبحت تحت حكمها ومع ذلك كتب الكثير عن انتشار الإسلام في البلقان بـ (العنف) والسيف إلا أنه بشكل عام يمكن القول أن الحكم العثماني اتسم بالتسامح وترك أمر انتشار الإسلام لرغبة الأفراد ولم تمارس سياسة أسلمة شعب دون آخر وهكذا يلاحظ بعد عدة قرون وليس بعد عدة عقود أن الشعوب المختلفة في البلقان التي كانت تعيش تحت حكم واحد انتهت إلى أن معظمها بقي الإسلام فيها دين الأقلية (الصرب الكروات والبلغار واليونان) بينما أصبح دين الإسلام دين الأغلبية لدى الألبان والبشناق فقط (2) .

وهكذا لم يكن استبدال لورد إقطاعي كاثوليكي نمساوي محل أحد الأعيان المسلمين أمراً جذاباً للصربيين أو غاية سياسية يطمحون إليها ذلك أن الحرية كانت تمثل الأسبقية بالنسبة لهم ختاماً كانت الثمرة الأساسية لوضع الحرب على التخوم طوال تلك الأعوام أن الصرب نالوا دراية بالقتال فقد شاركوا في العديد من المناوشات كجنود نظاميين في جيش النمسا أو في فرق فدائية غير منتظمة (3) نالت صربيا الاستقلال الذاتي عام ١٨١٧م بعد مؤتمر فيينا بقليل وكانت قد جاهدت في سبيل ذلك الاستقلال مده طويلاً فاتخذت بلغراد عاصمة لها وأصبحت دولة ذات استقلال لا يربطها بالسلطان إلا روابط ضعيفة وصربيا أول الدول البلقانية التي رمت عنها كابوس النفوذ العثماني في القرن التاسع عشر وتاريخ الحرب مملوء بنزاع شديد بين عائلي قريه جورجي و ميلوش ابرينوفتش المتنافسين على العرش مده من الزمن وقد اعترف باستقلال الصرب استقلالاً تاماً في معاهدة لندن ١٨٧٨م (4) .

رابعاً: صربيا والمسألة الشرقية :

المسألة الشرقية هي نزاع قائم بين بعض الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية طمعاً بأموالها وهي حروب صليبية متقطعة بين دولة قائمة بدين الإسلام والدول المسيحية (5) وهي أيضاً مصطلح عام يطلق على العلاقات السياسية بين بعض الدول الأوروبية وبين الامبراطورية العثمانية أبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين وبدأت المسألة الشرقية بنهضة روسيا تحت حكم قصرها بطرس الأكبر وانحلال الدولة العثمانية منذ مطلع

(1) تشارلز بيلا فتش و بريارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 39 .

(2) محمد م. الأرناؤوط، المصدر السابق، ص 35-36 .

(3) تشارلز بيلافتش و بريارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 39 .

(4) علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط1، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد ١٩٩٠، ص 319 .

(5) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، ج1، ط2، مطبعة اللواء، مصر ١٩٠٩، ص ٧٣ .



القرن الثامن عشر وبدأ الخوف الانكليزي والبروسي من نتائج التوسع عقب الحروب العثمانية الروسية اذ رأت بريطانيا من هذا التوسع تهديداً لمصالحها الكثيرة في الهند⁽¹⁾.

ولم تكن هنالك مسألة شرقية طالما كانت الامبراطورية العثمانية في مرحلة التوسع والفتح وفي وضع يجعلها قادرة على حماية أراضيها ومكتسباتها وقد برزت المسألة الشرقية مع بدايه انحسار المد التوسعي العثماني عن دول اوربا ومع اتجاه العثمانيين المتزايد نحو فقدانهم تفوقهم العسكري بالنسبة لدول اوربا وخاصاً بالنسبة لجيرانهم الروس والنمساويين⁽²⁾.

وفي عام ١٨٢٢ في مؤتمر فيرونا استخدمت لأول مره عبارة (المسألة الشرقية) في العلاقات بين الدول الا ان المسألة الشرقية تعود إلى ما قبل هذا التاريخ عند اعتلاء بطرس الاكبر عرش روسيا ودخوله في عداء مع الاتراك من أجل البحر الاسود والوصول اليه ثم ازدادت في عهد كاترين الثانية التي احتلت شبه جزيرة القرم بعد عدة حروب ونالت من الاتراك وعداً يخولها بحمايه الارثوذكس من رعاياها⁽³⁾. وعندما جرت في المؤتمر المذكور مناقشة الوضع الذي نشأ في البلقان نتيجة الانتفاضة التي قام بها اليونانيون ضد الهيمنة العثمانية عام ١٨2١ م ومنذ ذلك الحين ساد استعمال المصطلح في الدراسات والمصنفات التاريخية وذاع تداوله في التعاملات والمراسلات الرسمية⁽⁴⁾.

وبدأت علامات الضعف تظهر في البنية الداخلية للدولة العثمانية بأسرها منذ النصف لثاني من القرن السادس عشر وقد تجلى ذلك بشكل خاص في تدهور المجال الزراعي المورد الأساسي في عائدات الدولة وتصادع الثورات الفلاحية وبدأ نظام الإقطاع العسكري الذي يسود الدولة بالتدهور ولم يعد مناسباً للأوضاع الحديثة التي واجهها العثمانيون بالإضافة إلى تراجع أحوال الانكشارية وتحولت هذه الفرق التي كانت يوماً من ركائز القدرة العسكرية للدولة إلى مصدر للاضطرابات واستغلال السلطة والتدخل في إدارة الحكم كما أن العديد من كبار الملاك بدأوا يتصلون من واجباتهم تجاه الدولة وخاصة العسكرية منها وأخذ فريق منهم يشكل فرقاً خاصة به يعتمد عليها في عصيان السلطة المركزية كل ذلك كان جزءاً من العوامل التي أدت الى تعميق البلبلة والاضطرابات التي كانت الدولة العثمانية تعاني منها⁽⁵⁾ ونتيجة لافتقار الدولة الى العمليات الإصلاحية الجادة والناجحة أخذ التعقيدات الداخلية فيها تزداد وتتسع وادى بالتالي الى اضعاف سطوتها العسكرية⁽⁶⁾ وفي الوقت الذي أضى فيه خصوم الدولة

(1) عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢، ص 489 .

(2) د. عبد العزيز سليمان نوار د. عبد المجيد نعتي، التاريخ المعاصر اوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، منشورات دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧3، ص 31 .

(3) د. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ اوربا الحديث والمعاصر من الثورة الفرنسية الى الحرب العالمية الأولى (١٧٨٩ - ١٩١٤) .. ح3، ط 3، دار اسامه للنشر والتوزيع، عمان 2004، ص 790 .

(4) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 22 .

(5) امانى جعفر صالح الغازي، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة للنشر، 2007، ص 32 .

(6) انس العبيدي، المصدر السابق، ص 25 .



العثمانية من الاوربيين منهمكين في تطوير ثقافتهم واقتصادياتهم وجيوشهم آخذين بأسباب القوة والرقى وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال على الصراع المحتدم بين الجانبين وخلال القرن 18 فقدت الدولة العثمانية جميع املاكها شمالي نهري الدانوب والساق جراء الحروب الدفاعية الفاشلة التي خاضتها ضد روسيا القيصرية والامبراطورية النمساوية , ان تقهقر الدولة العثمانية السريع ولدأ إيماناً راسخاً لدى سياسي اوربا انها سوف تتحطم كلياً عاجلاً ام آجلاً فبدأت الدول الأوروبية تفكر في ابتلاع املاكها بعد ان كانت حروبهم معها حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر أشبه بجس النبض⁽¹⁾ ومما ساعد على تبلور الشعور القومي لدى هذه الشعوب سياسة العثمانيين الضحلة والقصيرة النظر القائمة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لرعاية الدولة وتركهم ينظمون امورهم بأنفسهم طالما يظهرون الخضوع ويدفعون الجزية كما لم تلجأ الدولة العثمانية إلى اساليب التهجير الاجباري او فرض الاسلام بالقوة كل ذلك مكن شعوب البلقان من المحافظة على مقومات قومياتها ولغاتها وتراثها وعقائدها وتاريخها الامر الذي سهل نهوضها القومي الجديد⁽²⁾.

عاشت باشوية بلغراد ظروف الفوضى والاضطرابات نهايات القرن الثامن عشر رافقه يقظة قومية لدى الشعب الصربي على وجه التحديد جنوب صربيا والمناطق المجاورة لها إذ أسهم النشاط الفكري وظهور الكتاب القوميين وانتشار فكرهم في اشعال فتيل الثورة⁽³⁾.

كما أن دخول الدولة العثمانية مرحلة الضعف كان عاملاً جديداً في بعث الشعور القومي التحرري في البلقان فاضمحلال النظام الاقطاعي العسكري القديم وتحوله الى نظام اقطاعي تقليدي كان له عواقب وخيمة على مجمل الاوضاع الاقتصادية للفلاح البلقاني الذي اثقلت كاهله الضرائب التي فرضتها الدولة المركزية بعد ان تزايدت باطراد جراء الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية وفي مطلع القرن التاسع عشر أخذت شعوب البلقان تسعى إلى التحرر من السيطرة العثمانية وبصوره جديده فاشتعلت لهذا الغرض سلسلة طويلة من الثورات استغلتها في الكثير من الأحيان بعض الدول الأوروبية ذات المصلحة فسببت للسلطة العثمانية الكثير من الصعوبات والخسائر وأسهمت بالتالي في تعميق ضعفها لذلك أثارة الشعوب البلقانية العديد من الثورات الناجحة كانت صربيا شرارتها الاولى, فقد بدأ الصربيون في عام 1804م النظام التحرري المسلح⁽⁴⁾.

الأساليب القسرية التي استخدمتها القوات الانكشارية ضد الصربيين تحولت القوات الانكشارية العثمانية الى مصدر للاضطرابات واثارة الفتن واستغلال النفوذ وانشغال قادتهم في جمع الأموال وتسليطهم على الشعب في صربيا

(1) المصدر نفسه، ص 26 .

(2) المصدر نفسه، ص 27-28 .

(3) نصير مراح محمد السلطاني , المصدر السابق , ص 151 .

(4) المصدر السابق , ص 29 .



فكان من أسباب قيام حركات التمرد الصربية⁽¹⁾، العامل الديني عد من أهم الأسباب التي أسهمت في تنامي الشعور التحرري لدى الصرب وتمثل ذلك بدور الكنيسة الأرثوذكسية الصربية التي مارست تأثيرها الملموس عن طريق تأجيجه الخطاب الديني وتحفيز المجتمع الصربي ضد العثمانيين، والأساليب القسرية التي استخدمتها القوات الانكشارية ضد الصربيين إذ تحولت القوات الانكشارية العثمانية إلى مصدر للاضطرابات واثارة الفتن واستغلال النفوذ وانشغال قادتهم في جمع الأموال وتسلطهم على الشعب في صربيا فكان من أسباب قيام حركات التمرد الصربية⁽²⁾.

لقد كان قادة الانتفاضة يدركون بأنهم لم يستطيعوا بجهودهم الخاصة وحدها تحقيق النصر ولهذا فأنهم كانوا يتطلعون إلى مساندة الدول الأوروبية وتوجهوا في أول الأمر إلى النمسا المجاورة لصربيا كانت الإمبراطورية النمساوية التي تجاوز الأراضي العثمانية والتي تحادد الأراضي العثمانية في أوروبا تعمل باستمرار على توسيع نفوذها في البلقان وتسعى بدأب إلى توسيع ممتلكاتها هناك على حساب الأراضي العثمانية وقد دفعها ذلك إلى أن تشن طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر سلسلة من الحروب على الدولة العثمانية، وبما أن المناطق التي يسكنها الصرب كانت تؤلف المسرح الرئيسي للعمليات العسكرية في هذه الحروب فقد كانت النمسا تسعى لاستخدام الصرب الخاضعين للدولة العثمانية حلفاء لها في تلك الحروب وكان الصربيون من جانبهم يوقتون انتفاضاتهم ضد السيطرة العثمانية مع هذه الحروب وكانت انتفاضاتهم هذه تنال على الدوام اهتمام السلطات النمساوية والتي كانت تبذل كل جهد ممكن لاستغلالها من جهة، ولتلافي أخطارها المحتملة المتمثلة بالتأثير الثوري الذي يمكن أن تبديه على السلاف من رعايا الإمبراطورية النمساوية ويتأثرون به من جهة أخرى - لكن النمسا فيما بعد انتهجت سياسة عدم التدخل وذلك خوفا من المد الثوري الذي قد يتأثر به رعايا الإمبراطورية النمساوية وكذلك وضعها الدولي المتأزم بسبب توسع نابليون والهزائم المتكررة وكذلك اعتقاد السلطات النمساوية بحتمية فشل الانتفاضة هو الآخر لعب دوره في تحديد موقف الحكومة النمساوية فيها⁽³⁾.

لذلك لجأ الثوار لروسيا وطلبوا منها المساعدة وحماية الإمبراطور الروسي والتمسوا من الحكومة الروسية أن تسند أمام الباب العالي طلبهم بمنح صربيا استقلالاً داخلياً ذاتياً كذلك كالذي تتمتع به ملدافيا و ولاكيا والمناطق اليونانية الواقعة تحت حماية روسيا⁽⁴⁾ ومع ازدياد خطر الغزو الفرنسي للبلقان وتنشيط نابليون للدعاية الموجهة إلى شعوب تلك المنطقة كان على روسيا لصد الترويج الفرنسي الذي كان يداعب الآمال التحررية لشعوب البلقان وأن

(1) Inalcik, Khalil, The Ottoman Turks and the Crusades (1453 – 1833), In A History of the Crusades, Vol. VI, the University of Wisconsin Press, London, 1989, p.56 .

(2) نصير مراح محمد السلطاني، المصدر السابق، ص 151 .

(3) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 63 - 64 - 65 .

(4) Andor, Eszter and Istvan Gyorgy Toth, Frontiers of Amitai, Reuven, and Michal Biran, eds. Mongols, 1400 – 1750, Budapest, 2001, p.32 .



تتخذ حل ما تستجيب لأمال تلك الشعوب ومصالحها القومية وفي الوقت نفسه كان على الحكومة الروسية ان تتحسب لاحتمال انهيار الدولة العثمانية بسبب التوسع الفرنسي في جنوب شرق اوربا فتسعى لان تؤمن لنفسها دوراً فاعلاً عند تقسيم الممتلكات العثمانية في أوربا , ومن الناحية الأخرى كان على روسيا ان تحسب حساب للدولة العثمانية طالما ظلت قائمة لا سيما وأنها كانت آنذاك تقف في معسكر يشابه بالفكر مع روسيا ضد التوسع الفرنسي , مما يحتم على روسيا ان تحافظ عليها ضد نوايا نابليون التوسعية حتى ولو أدى ذلك الى الحد من الآمال التحررية للشعوب البلقانية , وقد أثر ذلك على موقف روسيا من الانتفاضة الصربية وجعلها تقصر في مساعداتها للشوار وتكتفي بالإسناد الدبلوماسي كي لا تستفز الدولة العثمانية حتى لا تنجذب الى فرنسا وتتحالف معها⁽¹⁾ .

إن مطامح وأمال الدول العظمى في أراضي الدولة العثمانية كانت متعارضة ومتباينة إلى حد ما، لذا برزت مخططات وتعبيرات مختلفة مثل خطط تجزئة ممتلكات الرجل السقيم، وعلى النقيض منها عبارات الحفاظ على الحال الراهن والاهتمام بسلامة الدولة العثمانية. وقد نتج هذا عن عدم الثقة بين الدول الكبرى، وخوف كل واحدة منها من أن تستأثر الأخرى بنصيب الأسد من المكاسب. إن هذا التضارب الجذري في مواقف ومصالح الدول العظمى والنزاع فيما بينها كان في أغلب الأوقات يصب في صالح الدولة العثمانية، مما منحها فرصة جديدة للاستمرار والدوام لمدة طويلة.⁽²⁾ .

(1) هاشم التكريتي، المصدر السابق ، ص 70-71-72 .

(2) أنس العبيدي، المصدر السابق، ص 30-31 .



المبحث الثاني

ثورة الصرب

أولاً: الانتفاضة الصربية الأولى:

بعد ان وقعت الدولة العثمانية معاهده صلح سيستوف في 4 اب 1791-م بعد الحرب بينها وبين النمسا والتي ارجعت بموجبها النمسا جميع الاراضي الصربية التي احتلتها أثناء حربها مع الدولة العثمانية في حين لم تتضمن المعاهدة فقد العفو عن الصربيين الذين شاركوا في الحرب الى جانب النمسا⁽¹⁾ وكذلك معاهده صلح ياسي في 9 كانون الثاني 1792-م بين الدولة العثمانية وروسيا وبموجبها حصلت روسيا على مكاسب إقليمية على حساب الدولة العثمانية فقد أخذت بلاد القرم وكوبان و بسارابيا وتقدمت حدودها حتى نهر الدنيستر⁽²⁾.

أعطى للسلطان سليم الثالث متسعاً للتأمل في إصلاح أمور الإمبراطورية لرغبته في بلوغ مستويات هادئة وقانونية تتوافق مع أماني رعاياه من الصربيين، إذ أنه بعد فترة من الدمار والفناء التي خلفتها الحرب، لم يمانع الصربيون في إقرار استمرار الحكم العثماني مقابل نيلهم امتيازات الحكم الذاتي وتأمين سكون الأوضاع في الأرياف، فاجتهد السلطان سليم الثالث، الذي كان مهتماً بتلك المعضلات، لرفع مستوى أحوال الصربيين وتخفيف وطأة الظروف الراهنة؛ فشرع أولاً بتعيين أشخاص للإدارة المحلية يتمتعون بسلطات للتعامل مع الرعايا وكبح الكيانات المارقة وإصدار مرسوم ١٧٩٤ الذي حظر تواجد الجنود الإنكشارية على تخوم باشوية بلغراد ومنعهم من جبي الضريبة من الأهالي، ومرسوم ١٧٩٦ الذي وسع نطاق صلاحيات الحكم الذاتي لباشوية بلغراد⁽³⁾، حيث أعطت الصربيين ما كانوا يتطلعون اليه ولقد حددت هذه الاجراءات علاقات الصربيين بالحكومة العثمانية فقط حصلوا على حقوق واسعة وكثيره فيما يتعلق بالحكم الذاتي المحلي، وأصبحت هذه الفرمانات تشكل البرنامج السياسي لزعماء الصرب في السنوات التالية، ولو قدر لهذه الفرمانات ان تطبق لكان من المحتمل تأجيل ثورة الصرب القومية غير ان السلطان سليم الثالث لم يتمكن هو وواعوانه من تنفيذ ما أصدره من قرارات وكان هذا من سوء الإدارة وفي السنوات التالية تعاظمت المشكلات بشكل كبير واصبحت اسطنبول مركزاً لدسائس التقليدية والمؤامرات وتكرر نقل المسؤولين ذوي الكفاءة الادارية القادرين على التفاهم مع الرعايا من مواقعهم وحلت محلهم العناصر التي كان الإصلاح يهدد مراكزها⁽⁴⁾.

(1) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 61.

(2) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، ج 1، ط 1، مطبعة اللواء، مصر ١٩٠٩، ص 96.

(3) Kazler, Vincent, Choir in Urashak, Meetings and Conferences during the first Intifada 1804, Translated by the University of Michigan Scientific Bureau, 1984, p. 217.

(4) تشارلز بيلانتش وبربارا بيلانتش، المصدر السابق، ص 40-41.



وكان من الطبيعي ان يزعج قادة وجنود الانكشارية من هذه الإصلاحات التي فقدوا معها سلطتهم الواسعة وتسلطهم على الرعية من مسلمين ومسيحيين لذلك لجأوا إلى والي (باشويه فيدين) عثمان باشا الذي كان من المعارضين لهذه الإصلاحات , وبدعم من عثمان باشا قاد الانكشارية تمرداً ضد السلطان وقاموا بعدة محاولات للاستيلاء على بلغراد بقوة السلاح وقد انتهز هؤلاء انشغال السلطان بحملة نابليون بونابرت على مصر واعداد القوات العثمانية لإرسالها إلى مصر فزادوا من ضغوطهم عليه مما اضطر السلطان إلى الرضوخ لمطالبهم وقد دخل الانكشارية بلغراد كالفاتحين وقتلوا بعد ذلك والي المصلح (مصطفى باشا) * الذي أحبه الصرب وسموه (أب صربيا)⁽¹⁾ بحيث استطاع هذا والي ان يؤلف من فلاحي ولاية بلغراد قوة مسلحة لمحاربتة الانكشارية في صربيا حين تدعو الحاجة ولم يرق ذلك للأنكشاريين فدبروا له مكيدة مقتلته سنة 1801 ونصبوا قاداتهم حكماً على المناطق الإدارية هناك وحين اشتد أذى الانكشارية ضافت البلاد ذرعاً منهم⁽²⁾ ولكن عودة هؤلاء الانكشارية للحكم بالأسلوب القديم أثارة ضدهم الصرب الذين كانوا قد استفادوا كثيراً من حرية الحركة والتجارة وأصبح تجارهم يتمتعون بنفوذ كبير في المجتمع ولكن بعد لجوء الانكشارية إلى فرض الضرائب التعسفية والاستيلاء على الاراضي واجبار الفلاحين الصرب على العمل فيها بشروط مجحفة وفي هذه الظروف تطلع الصرب من جديد إلى النمسا للخلاص، ولما وجد قواد الانكشارية رساله من أحد أعيان الصرب إلى النمسا يطلب منها المساعدة قاموا في كانون الثاني ١٨٠4 بإعدام سبعة من اعيان الصرب ولكن هذا فجر الانتفاضة الصربية في شباط 1804 بقيادة قره جورجي التي قادت إلى فتح صفحه جديده من تاريخ الصرب⁽³⁾.

ولما كان لقره جورجي دور أمر بالغ الأهمية في خوض الثورة وتأسيس أول هيكل سياسي لدولة الصرب، يتوجب علينا تقديم نبذة مقتضبة عن سيرته. لا يعرف سوى القليل عن بدايات حياته، بل إن تاريخ ولادته غير محسوم، ويُرجَّح أنه وُلد في عام ١٧٦٨ لأبوين مُعدمين أجبرتهما الظروف على الترحال بحثاً عن القوت. عمل قره جورجي لدى عدة مُلاكٍ أراضٍ. وفي عام ١٧٨٧، عندما ارتحلت عائلته من مقاطعة سوماديا إلى فويفودينا فراراً من الإنكشارية، وحين نشبت الحرب النمساوية - العثمانية، التحق بالفصائل العسكرية غير المنظمة وشارك في الوقائع التي دارت في غرب صربيا، حيث نال دراية عسكرية لا يستهان بها. عقب صلح سيستوف، اتجه إلى تجارة الماشية. وقد أتاحت له هذه المنحة فرصة التعامل مع النمسا والاتصال بعدد كبير من رعاياها، بالإضافة إلى نيله رتبة قائد فرقة عسكرية

* مصطفى باشا والي باشوية بلغراد الذي اختاره السلطان وكان من المتحمسين لمشروع الاصلاح وقام بتطبيق ما جاء في فرمان ١٧٩٤-١٧٩٦ بحماس كبير وسمح للصرب بأصلاح كنائسهم وتركيب عليها ما يشاؤون من أجراس بحيث الاصلاحات شجعت بعض الصرب للقدوم الى باشويه بلغراد من النمسا .

(1) محمد م. الأرنؤوط، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥ .

(2) محمد محمد صالح، المصدر السابق، ص 137 .

(3) Jovich, Stoyan, Atanokovic, Zvorad, Battles Eastern Serbia, Southern Serbia, Kosovo 1804–1944, Carden. CSI, Belgrade, 1978, pp. 42 – 44 .



تضم مئة رجل في الحرس الصربي الذي أسسه السلطان سليم الثالث، بغية التكايف مع مصطفى باشا ضد الإنكشارية، ومن ثم نال خبرة في الجيش العثماني المنتظم. وعندما رجعت سرايا الإنكشارية إلى أراضي الصرب عام ١٨٠١م، كان لقره جورجي مقام كبير لدى الصربيين، وكان لزاماً عليه اتخاذ بعض الإجراءات الحماية ضد فصائل الإنكشارية التي عرفت بالشدة والاضطراب.⁽¹⁾ لذا غدا قائداً لأول انتفاضة صربية ضد الحكم العثماني، وذلك بسبب مؤهلاته الذاتية التي استقطبت الصرب إليه، بالإضافة إلى براعته في إنهاء المسائل وحكمته التي تجلت في مقارنته للوضع الدولي الشائك في زمن نابليون، حيث وُقِّق في الارتقاء بالقضية الصربية من مجرد مأزق عثماني داخلي إلى شأن عالمي.⁽²⁾

المرحلة الأولى:

هنالك وحدة بين الصربيين ليس فقط في القيادة وإنما في الهدف المراد تحقيقه والثورة في تلك المرحلة لم تكن تستهدف الاستقلال التام من الدولة العثمانية بل كانت موجهة ضد السيطرة الانكشارية في بلاد الصرب باتجاه استعادة حقوق الحكم الذاتي التي كانت الحكومة العثمانية قد وافقت عليها من قبل، وكان ممثلو الثورة على اتصال منتظم بالباب العالي بشأن أمان الصربيين حيث أكدوا خلال مباحثاتهم أن عرضهم التوصل إلى شروط تضمن وضع حكومتهم الذاتية داخل نطاق الامبراطورية العثمانية وكانت مطالبهم الفورية تتلخص في ابعاد رؤساء فرق الانكشارية والعفو التام عن المتمردين الصرب وفي الوقت نفسه أبدوا رغبة في أن يعترف الباب العالي برئيس من الصربيين له سلطه على صرب باشوية بلغراد ويكون مسؤولاً في تسديد الضرائب وتمثيل قومه أمام الحكومة العثمانية كما شملت الرغبة أيضاً أن تفرض الضرائب والجزية دون تعسف في جمعها فضلاً عن منع الانكشارية في حيازة ارض ريفيه ووضع ضوابط لحق المسلمين في الإقامة في المدن الصربية وكذلك ضمان حرية العقيدة والتجارة والانتقال، وفي أثناء المفاوضات مع السلطات العثمانية حول تلك النقاط كان زعماء الحرب يرنون ببصرهم لحكومتهم النمسا وروسيا لتقديم العون والمساعدة اللازمة⁽³⁾.

في نفس الوقت عجز الصربيون عن مجابهة القوات الانكشارية رفقته يأس بالخلاص منهم رغم مساعدة الدولة العثمانية فطرق الصربيون باب الاستغاثة بروسيا عام 1803 عن طريق المطران النمساوي من أصل صربي ستيفان ستراتييميروفيتش (Stefan Stratimirufij) غير أن ذلك الأمر زاد من بطش الانكشاريين وقادتهم فوقع حادثة ذبح الأمراء الصرب التي أطلق عليها الصربيون (Dahije) فكانت تلك المذبحة، السبب المباشر لاندلاع انتفاضة الصرب

(1) تشارلز بيلانتش و بربارا بيلانتش، المصدر السابق، ص 42-43 .

(2) Kiraly, Bellak, War and Society in Eastern Central Europe: The first Serbian uprising 1804–1813, Brooklyn College Press, Rothenberg, 1982, pp. 62 – 65 .

(3) تشارلز بيلانتش و بربارا بيلانتش، المصدر السابق، ص 44-45 .

الأولى فدعا الزعيم الصربي قره جورج الى عقد أول اجتماع في أوراشاك في الثاني عشر من شباط 1904 أسفر عن نجاح الاجتماع والإعلان عن الانتفاضة وتعيين قره جورج قائدا لها بعد اقناعه من قبل الأساقفة الصرب⁽¹⁾.

وفي ٨ اذار 1804 أثناء قيام الانتفاضة الصربية السابقة الذكر اتصل مندوبون عن قره جورجي بسلطات الحدود النمساوية وطلبوا الموافقة على تزويد الثوار بالذخيرة او السماح لهم بالحصول عليها من التجار أثارت الانتفاضة اهتمام السلطات النمساوية فكان لابد للاضطرابات التي حدثت في هذا الاقليم وعلى هذا القرب من الاراضي النمساوية ان تثير قلق النمسا لأسباب عديدة الخطر الذي تشكله على سلطة اسرة الهابسبرك بتأثير ثوري والتأزم الذي يمكن أن تحدثه في العلاقات النمساوية - العثمانية وفي الوقت الذي كان فيه الوضع الدولي غير ملائم للنمسا ؛ بسبب توسع نابليون والهزائم المتكررة التي لحقت بها على يده وكذلك الاعتقاد بحتمية فشل الانتفاضة جعل النمسا تعلن حيادها تجاه الثورة وتعددها حدثاً داخلياً يهم الدولة العثمانية وحدها غير ان ذلك لا يعني ان السلطات النمساوية التزمت بدقه طيلة مدة الانتفاضة بالحياد الصارم فالأسناد الروسي للثوار من شأنه أن يزيد من مكانه روسيا ونفوذها في صربيا ولدى عموم السلاف في شبه جزيرة البلقان الامر الذي ينعكس سلباً على نفوذ النمسا ومخططاتها في المنطقة ولهذا نجد النمسا تخرج في بعض الاحيان من خط الحياد وعدم التدخل الذي اعتمدته في سياستها تجاه الانتفاضة وتغض النظر عن الثوار عند دخولهم الاراضي النمساوية ومع ان موقف النمسا هذا لم يكن بالمستوى اقل مما كان يطمحون اليه الثوار لكن من يقطعوا صلتهم بالنمسا حتى اقترح قره جورجي رسمياً على الحكومة النمساوية ان يضع الأراضي الصربية تحت سلطه الامبراطور النمساوي بعد تحريرها من العثمانيين ولان النمسا كانت منشغلة بالصراع العسكري مع نابليون الذي تكبدت فيه هزائم قاسيه وهو السبب الأساس الذي أجبر النمسا على ترك انتهاز الفرصة والاستيلاء على صربيا وبعدها وقفت موقفاً سلبياً من الثوار وكانت رغبتها التصالح مع العثمانيين وانهاء الثورة⁽²⁾.

هذا الامر دفع زعماء الصرب للبحث عن مساندة خارجية لضمان تنفيذ شروط الحكم الذاتي فذهب الى روسيا وفد صربي عام ١٨٠٤م فاستقبله وزير خارجية روسيا الذي نصحهم بالتعامل مع الباب العالي مباشرة لان روسيا كانت تتعاون آنذاك معه ضد نابليون بونابرت⁽³⁾ في ولاسيما بروز نابليون ومحاولته الاستيلاء على حوض البحر المتوسط ومجابهة بريطانيا للتوسع الفرنسي هناك أدت إلى تفاقم الصراع بين فرنسا وبريطانيا في الشرق الادنى وظهر احتمال استيلاء هاتين الدولتين على الاراضي العثمانية في البلقان والتغلغل في منطقة المضائق الأمر الذي دفع روسيا ومعها النمسا الى العمل على المحافظة على الدولة العثمانية وحماية ممتلكاتها في تلك المنطقة لان بقاء الدولة

(1) نصير مراح محمد السلطاني ، المصدر السابق ، ص 151 .

(2) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 63 - 68 .

(3) تشارلز بيلا فتش و بربارا بيلا فتش، المصدر السابق، ص 45 .

* ارسترليتز انتصر بها نابليون على جيوش فرنسيس الثاني امبراطور النمسا والسكندر الاول فيصبر روسيا.



العثمانية ضعيفة هناك أفضل بالنسبة من هاتين الدولتين اللتين لهما مصالح ومخططات واسعة في البلقان من الاستحواذ على المنطقة من قبل بريطانيا او فرنسا او كليهما معاً ولكن انتصار نابليون على النمسا في اوستريتز* وعقد مع النمسا صلح برسبورغ في 26 كانون الأول ١٨٠٥ واستولت فرنسا بموجبه على مناطق واسعة من البلقان مما سبب تغيير توازن القوى في المنطقة لصالح فرنسا فأخذت تسعى الحكومة العثمانية من التقرب من فرنسا لذلك احتلت روسيا امارتي الدانوب عام 1806 بحجة حماية حقوق و امتيازات الامارتين وردت الحكومة العثمانية عانى ذلك بأعلان الحرب على روسيا متذرعه بعدة أسباب منها مساعدة روسيا إلى الثوار الصربيون لذلك اشترك الثوار لصربيون في هذه الحرب⁽¹⁾.

كان من الطبيعي أن تُبدي الحكومة العثمانية رغبتها في تسوية القضية الصربية عبر الحوار مع إظهار استعداد صادق لتقديم تنازلات واسعة، في ظل تجدد حالة الحرب. هذا الموقف المستحدث كان من شأنه أن يُبدّل تبني كل من الصرب والروس. فروسيا، وهي في خضم نزاع مع العثمانيين، كانت لها مصلحة في استمرار انتفاضة الصرب، والصرب الذين أحرزوا تقدماً في الغزوات العسكرية كانت فكرة الاستقلال أشد إغراءً لهم، والباب العالي أبدى استعداده لمنح الصرب قدراً كبيراً من الحكم الذاتي⁽²⁾.

وتحت الحاح روسيا وافقت الدولة العثمانية ان تبدأ محاولات الصلح مع الصربين على شرط ان يعترف الصربيون إنهم رعايا السلطان ويدفعون الجزية السنوية ويتقلد الصربيون الوظائف المالية والادارية تحت اشراف ممثلي الباب العالي ويسحب من باشوية بلغراد جميع الانكشارية ولهذا الغرض أرسل الثوار مندوب عنهم بيوتر ايتشكو الى اسطنبول ، وتمكن من التوصل الى صلح مع العثمانيين عرف بـ(صلح إيتشكو) وأقرت الحكومة العثمانية بهذا الصلح والحكم الذاتي للصرب عام ١٨٠٦م بشرط دفع الجزية السنوية⁽³⁾.

المرحلة الثانية :

حقق الصربيون أكثر مما كانوا يتطلعون اليه منذ بداية الانتفاضة ، كان الصرب يفكرونما الذي بوسعهم نيله أكثر وإلى أي حد تمسك الباب العالي بالاتفاق معهم وتطبيقه، ولكن في ظل الأوضاع الراهنة بقي استمرار التمرد لنيل حرية كاملة مطلباً جديراً وكان الصرب يدركون أن التوصل إلى قرار نهائي في هذا الموضوع يتوقف على موقف روسيا الذي سيكون له أثر مؤكد على مستقبل وجود دولة صربية راسخة، بيد أنهم لم يتخلوا عن متابعة الكفاح⁽⁴⁾. لذلك توجهوا الى الجانب الروسي في آذار 1806 والتقوا بالقائد العام للجيش الروسي في منطقة الدنيستر الجنرال

(1) د. هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص 69-73-74.

(2) تشارلز بيلامنتش و بيارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 46.

(3) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 74-75.

(4) Lieven, Dominic, The Cambridge History of Russia (1689 – 1917), Cambridge University, Cambridge, 2006, p 87 .



ميجلسوف طالبين منه المساعدة فأرسل الى صربيا ضابطاً كلفه ان يستوضح حاجات الثوار وان يبدي المساعدة لهم , وعلى هذا الاساس وسع الثوار من عملياتهم الثورية ضد السلطات العثمانية واستولوا على بلغراد وشاباتس وهما آخر قلعتين كان العثمانيون يحتفظون بهما في صربيا , وفي آذار 1807 قتل الثوار باشا بلغراد وعدد من العثمانيون في بلغراد وشاباتس ونتيجة هذه الانتصارات للثوار الصرب أصبح قرة جورجي سيد الباشوية وقرر مواصلة الثورة بالاعتماد على المساعدة الروسية , وجاءت الاحداث متوافقة مع ما يتطلع اليه الصربيون بقيام الحرب العثمانية – الروسية فانظموا بالتاكيد الى الجبهة الروسية ⁽¹⁾ .

وقد تبلورت الاتصالات بين الثوار والحكومة الروسية في مطلع حزيران 1807 وصول الكولونيل الروسي بولوتشي لتقييم الوضع السياسي والعسكري في صربيا ولتحديد نوع الدعم الذي يتطلبه الصراع ونوع المساعدة التي يمكن لروسيا توفيرها في المعركة المشتركة ضد الدولة العثمانية, اختتمت الزيارة بتفاهم عُرف باتفاق بولوتشي- قره جورجي, الذي نصّ على تعيين موظفين روس في أراضي الصرب وإقامة حامية روسية وإرسال إمدادات روسية حربية ومادية, وأن تضع صربيا تحت رعايتها وتعيين مدير قدير فيها يقود البلاد نحو نظام لائق باسم القيصر الروسي. لذا, اعتقد قره جورجي أنه حظي بضمانات راسخة بدعم روسي, فاعتمد نهجاً يهدف إلى استقلال الصرب وليس مجرد نيل حكم ذاتي تحت السيادة العثمانية. وسرعان ما أدرك قره جورجي أنه استعجل في إبرام اتفاق مع بولوتشي عندما اتضح أن روسيا وفرنسا أبرمتا معاهدة سلام تلت هذا الاتفاق بأيام قليلة. ⁽²⁾ .

جاءت خلال تلك المدة التطورات والتغيرات في الوضع الدولي غير متوافقة مع ما يتطلع اليه الصربيون , فبعد الهزيمة التي مني بها الجيش الروسي في 14 حزيران 1807 في معركة فريدلاند أمام القوات الفرنسية , وشجع نابليون بوناپرت القيصر الروسي خلال لقاءهما في 7 تموز 1807 في عقد صلح ومعاهدة تلس وبموجبها تحولت روسيا من عدو الى حليف لفرنسا ضد بريطانيا ووضع فكرة تقسيم الامبراطورية العثمانية , ولكي يعوض القيصر الروسي الكسندر الأول الاخفاقات العسكرية والسياسية أخذ يسعى في التوسع الاقليمي في البلقان بوساطة فرنسا حيث اطلق نابليون يده في الاستيلاء على ولاكيا و فنلندة وملدافيا وكان هدف نابليون هو اثاره الخلافات حول المسألة الشرقية وهذه الخلافات بدورها تعمق الخلاف الروسي وحلفائهم السابقين (بريطانيا) فيعيق إنشاء تجمع جديد ضد فرنسا وقد أدى انسحاب الاسطول الروسي من البحر الايوني وبحر الادرياتيك وبعض المناطق المهمة في شرق البحر المتوسط الى إضعاف مواقع روسيا في البلقان والواقع ان الثوار الصرب لم يحصلوا على أي عون ومساعدة من الدول الأوروبية الا من روسيا ⁽³⁾ غير انهم استمروا في مواصلة الانضمام الى الجيش الروسي في حربهم ضد العثمانيين مما جعل من الساسة الروس بأن يوعدهم للتوصل الى حل يرضي طموحاتهم وان جميع مسودات المعاهدات وشروط

(1) د. هاشم التكريتي, المصدر السابق , ص ٧٥ .

(2) تشارلز بيلامنتش و بيارا بيلافتش, المصدر السابق, ص 46 .

(3) هاشم التكريتي, المصدر السابق, ص ٧٦-٧٧ .



الهدنة التي تضعها الحكومة الروسية والقيادة العسكرية لإنهاء الحرب انها سوف تتضمن شرطاً أساسياً (تأمين مصير صربيا) كأساس للتسويات السلمية مع الجانب العثماني وذلك يتحقق بأن تقوم في صربيا دولة تدفع للباب العالي جزية معتدلة ويحكمها أمير صربي يتولى منصبه بالوراثة ويمارس ممثل لروسيا دوراً كبيراً يعينه ويسير نشاطه , وهكذا كان على الدولة الصربية المنشودة ان تكون قاعدة ارتكاز لروسيا يمكن ان تستغلها في صراعها مع النمسا والتوسع على حساب الممتلكات العثمانية⁽¹⁾ .

غير ان الظروف الدولية اضطرت روسيا بتغيير موقفها فالعلاقات الروسية - الفرنسية أخذت بالتوتر وكان قيصر روسيا الكسندر الاول يستعد ان يواجه غزواً فرنسياً وشيك الوقوع فأصبح راعياً في عقد معاهده صلح مع الدولة العثمانية حتى يكون بأماكنه سحب قواته المشاركة في حرب العثمانيين لمواجهة للحرب مع فرنسا وخلال المفاوضات اقنع الروس العثمانيين بالخطر الذي يحمله نابليون لهم , وقد انعكس هذا الموقف الروسي بالنسبة للقضية الصربية ان تبقى سيادة السلطان العثماني قائمة في صربيا الان وان يدفعوا له الجزية وان تقوم في صربيا ادارة مستقلة (حكم ذاتي تابع للسلطان) حاول الروس عمل شيء لحلفائهم الصربيين ولو بسيط حيث انتهت المفاوضات بعقد معاهدة بخارست في 28 ايار ١٨١٢ وانتهت الحرب الروسية العثمانية⁽²⁾ .

وكانت المادة الثامنة من المعاهدة تختص بحالة الصرب وقد نصت على تدمير القلاع والحصون التي أقامها الصربيون خلال الثورة ما لم يكن لها أهمية معينة لدى الدولة العثمانية وتُعاد البنية التي كانت قائمة في أراضي الصرب قبل عام ١٨٠٤م وتكون تحت حماية جنود عثمانيين وفي المقابل تعهدت الحكومة العثمانية بإصدار عفو شامل عن المعارضين الصرب ومنح امتيازات الحكم الذاتي وتثبيت الرسوم وجمعها وإرسالها إلى الخزينة الرئيسية في إسطنبول، كان وقع تلك الاتفاقية قاسياً لدى الصربيين لأن استعادة العثمانيين لسيطرتهم على الحصون ومدن الصرب مجدداً كان أمراً غير مقبول ثم توقع الكل اندلاع دَفعة من الانتقام الشديد وخاصة وأن الحرب لم تكن لديهم ضمانات بمنح الدولة العثمانية الحكم الذاتي وخاصة وأن روسيا حفزت الصربيين للتفاوض مباشرة مع العثمانيين وأن كل ما تقدمه للصرب هو مساندة سياسية⁽³⁾ ومع ان معاهدة بخارست لم ترضي الصربيين الا انهم دخلوا مع المفاوضات العثمانيين في محادثات لتنفيذ ما جاء فيها وخاصة الحكم الذاتي , وقد اطلال العثمانيون المحادثات عمداً سرعان ما تشنعت العلاقات بينهما وتقدمت الدولة العثمانية بقوات عسكرية نحو الصرب عام

(1) Masters, Bruce, The Ottoman Empire A Social and Cultural History, Cambridge University Press, Cambridge, 2013, p. 93 .

(2) ينظر: حسين لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال مصر ١٩٢١، ص 62، تشارلز بيلافتش و بربارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 48 .

(3) تشارلز بيلافتش و بربارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 48 .



١٨١٣ مستغله انشغال روسيا بجربها مع فرنسا وكسرت شوكت الثوار وهرب قره جورجي الى النمسا وعادة البلاد إلى ما كانت عليه قبل الثورة ⁽¹⁾ .

ثانياً : ثورة الصرب الثانية :

وبعد ان قمعت الانتفاضة الصربية وعادة تبعية الفلاحين للدولة العثمانية وساءت احوال الصربيين بعد ان عاد الاقطاع واجبروا على السخرة الامر الذي ادى الى قيام الانتفاضة من جديد في منطقة تشاتشاك في خريف 1814 غير ان السلطات العثمانية تمكنت من اخمادها , في حين حاول الصربيون الحصول على الاسناد من الدول الاوربية المجتمعة في مؤتمر فيينا آنذاك لكن محاولتهم باءت بالفشل , الامر الذي دفع من بقي من قادة الانتفاضة الاخرين الى تجديد الانتفاضة , وان فرار قره جورجي لم يمنع الصربيين من الاستمرار في الكفاح ضد الوجود العثماني وخاصة وان العثمانيين ارجعوا تبعية الارض الى الاقطاع فظهر زعيم جديد ومشارك في الانتفاضة الاولى هو ميلوش ابرينوفتش ⁽²⁾ .

ولد ميلوش ابرينوفتش في (١٨ مارس 1780) وتوفي في (26 سبتمبر 1860) في قرية دوبرينيا قرب بوزيغا في منطقته اوزيتشي لعائلة فقيرة , وكان والده تيودور ممها لوفتش والفلاحين الفقراء قد هاجروا من الجبل الاسود ⁽³⁾ بدأ حياته راعيا الا انه أصبح ثرياً وتقلد منصباً كبيراً سنة 1813 في الإدارة العثمانية في صربيا قبل تمرد بسنطين ⁽⁴⁾ عمل ميلوش في شبابه خادماً في اسرة موسرة لتاجر ماشية ⁽⁵⁾ كان ميلوش لا يتردد في تسخير منصبه السياسي ومكانته بين الناس للحصول على أكبر قدر من المكاسب لنفسه ورغم أن زعماء الحركات الثورية الاخرى كانوا في هذا السلوك وبدرجات متفاوتة الا ان ميلوش اختلف عنهم جميعاً من حيث درجة النجاح الذي حققه وطبيعته فرغم انه ينحدر من اسره فقيرة الا ان ثروته بلغت عام 1837 أي قبل تنازله عن العرش بعامين ما مقدار ١٧% من دخل الدولة ومن أجل ان يحقق هذه الثروة استخدم عدة وسائل كالاستيلاء على أراضي وأملاك الاتراك السابقين واحتكار تصدير الثروة الحيوانية وبيع الملح والابقاء على سخرة الفلاحين في الاراضي التي استولى عليها ومن ثم توفرت له أموال اشترى بها ١٢ ارض اقطاعيه في ولاشيا وحتى عندما كان في المنفى في اربعينيات القرن التاسع عشر يعد واحد من أغنى أغنياء العالم ⁽⁶⁾ .

(1) د. مجيد خدوري د. زكي صالح ونهاد عبد المجيد وأحمد عبد الباقي، التاريخ الحديث، وزارة المعارف، ط1، مطبعة السرياق، بغداد ١٩٤٨، ص 241 .

(2) د محمد محمد صالح د. ياسين عبد الكريم ونوري السامرائي، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، بغداد ١٩٨٥، ص 223 .

(3) <http://www.spcoluzevn.ch>

(4) د. محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا الحديث، ص 139 .

(5) <http://www.spcoluzevn.ch>

(6) <http://www.marefa.org/index.php/>

فرغم فساد ميلوش الواضح الا انه اقام حكماً وطنياً واكتسب اعترافاً بحكومة بلاده الذاتية وربما كان هذا أفضل شيء جدير بالاعتبار حققه الرجل في تاريخه⁽¹⁾ شارك في الانتفاضة الصربية الاولى الى نهايتها ١٨١٣ وكان واحد من عدد قليل من قادة التمرد الذي بقي في صربيا لمواجهة الاترك في عام ١٨١٥ وحرص الانتفاضة الصربية الثانية التي أسسها بيت اوبرينوفتش وأصبح زعيماً لصربيا المطلق أصبحت صربيا تحت حكمه الدوقية المستقلة داخل الإمبراطورية العثمانية ويعزى له الفضل في انشاء الدولة الصربية وسياستها الداخلية والخارجية , وبعد وفاة قره جورجي أصبح ميلوش زعيم صربيا عام ١٨١٧ حققت دبلوماسية ميلوش نجاحاً لصربيا , وتمرد المواطنين الصرب في الكثير من الاحيان ضد حكم ميلوش وعندما أرادوا أعداد دستور سنة ١٨3٥ سبب ذلك ردود فعل سلبية لدى النمسا المجاورة وروسيا والدولة العثمانية وقفوا الى جانب ميلوش لأن الدستور يمثل استفزاز لحكمهم الاستبدادي حيث اعتبروه خطوه نحو الاستقلال الكامل وتقويضاً لنفوذهم , وكذلك اثار حذر روسيا رغم دورها في حماية الصرب خشية انتشار الافكار الليبرالية مما دفعه الى إلغائه وتعديله⁽²⁾ .

حيث رأت الدولة العثمانية في الدستور تجاوزاً لصلاحياتها كسلطة سيادية على اماره صربيا الذاتية ومحاولة منها لإنهاء التبعية الفعلية مما دفع الباب العالي للمطالبة بإلغائه , اما النمسا كانت تخشى من قيام دولة قومية صربية مستقرة ودستورية على حدودها مما يؤجج المشاعر الوطنية بين الصرب داخل إمبراطورية الهابسبرك , كما وكانت النمسا تحكم في داخل إمبراطوريتها قوميات اوربية مختلفة ودستور صربيا يحفزهم على المطالبة والاستقلال وتفكيك سلطتهم , اما روسيا التي كانت كثيراً ما تحمي صربيا وتساعدتهم امام العثمانيين الا انها لم تؤيد الدساتير بشكل عام بينما كانت تطمح الى جعل ادارة صربيا بعد الانفصال عن الدولة العثمانية تابعة لها وتحت ادارة روسيا , كل هذه الضغوط الدولية آنذاك جعل واجبرت من ميلوش ابرينوفتش الى سحب الدستور⁽³⁾ .

المرحلة الاولى: ميلوش ابرينوفتش أميراً على صربيا :

بدخول القوات العثمانية الى صربيا عام 1813 واتباعها سياسة تعسفية ازدادت معاناتهم الامر الذي دفعهم الى تجديد الانتفاضة وطلب تدخل روسيا التي تدخلت دبلوماسياً وعلى هذا أتاح السبيل للاتفاق بين الصرب والجهة العثمانية، فالصوب العالي كان في حالة ذهنية مستحسنة، وكان ميلوش يرغب في المفاوضة في الآن ذاته، وبهذا اتجهت وفود صربية نحو إسطنبول لتبين أن ثورة الصرب لم تكن ضد السلطان، بل كانت ضد سليمان باشا لسبب حكمه العسير. وقد عزز من قوة الصرب في الواقع وضع روسيا الذي أوضح للباب العالي أنه إن لم يتم التوصل إلى تفاهم مع الصرب، فإنها ستطرح مسألة تطبيق البند الثامن من اتفاقية بوخارست، فما كان من الإدارة العثمانية إلا أن سحبت سليمان باشا وعينت بدلاً منه علي باشا المرعشلي. وهكذا وفي ظل هذا الجو المستجد، تم التوصل في

(1) تشارلز بلافتش و بربارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 67 .

(2) <http://www.spcoluzern.ch>

(3) تشارلز بلافتش و بربارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 71 .



أغسطس 1815 إلى تفاهم شفهي بين المرعشلي وميلوش الذي طلب بتطبيق البنود التي سبق وأن وافقت عليها الإدارة العثمانية في عام 1806 (صلح إيتشك)، حيث أقرت به الإدارة العثمانية بالحكم الذاتي بشرط أن يدفعوا الضريبة السنوية التي كان قره جورجي قد استنكرها حين قرر الدخول في قتال من أجل الاستقلال.⁽¹⁾ لذلك ارتأى السلطان أن يجري مفاوضات معه ومنح صربيا الاستقلال الذاتي عوضاً عن عودة الانتفاضة وبهذا قصد السلطان ألا يسمح للقيصر الروسي بالتدخل في القضايا البلقانية رغم هزيمة نابليون في موقعة واترلو عام 1814⁽²⁾ وبمقتضى التفاهم الشفوي آب 1815 اتفق على إقرار ميلوش أميراً على صربيا، وأن يُزود كل إقليم بعمال صرب وعثمانيين رسميين لتولي الفصل في القضايا التي يكون فيها الصرب من أطراف النزاع وتأسيس هيئة قضائية في بلغراد تكون بمثابة محكمة عليا في الرقعة، وتعهد موظفون صربيون بمهمة جباية الرسوم المحددة وتسوية الضرائب. وبالفعل بعد شهرين من هذا التفاهم الشفوي أصدر السلطان محمود الثاني أمراً عام 1816 يؤكد هذه الترتيبات وتم إبعاد أسر الانكشارية عن الأراضي التي يملكها الصرب وأن يعمل مسؤولون صرب وعثمانيون سوياً في تسيير أمور البلدات والمواقع الحربية كما صدر العفو الشامل، غير أن تلك الأحكام الجديدة لم تُشكل للصرب حكماً ذاتياً فعلياً ضمن الدولة العثمانية وهو الأمر الذي لم يتم في عام 1830 لكنها وضعت نهاية لأعمال الانتفاضة والنزاعات الحربية ثم بدأت خطوات الحكم الذاتي تتحقق شيئاً فشيئاً بفضل المباحثات السياسية وضغط روسيا على الدولة العثمانية وفي كافة الأحوال استطاع الصرب إدارة مقاليد بلادهم بأنفسهم وصار لهم قائد قومي مُعترف به وأسسوا أساساً وطنياً ساهم في إنجاز التقدم القومي لاحقاً.⁽³⁾

بتوقيع اتفاقيتي عام ١٨١٥ - 1816 مع الحُكم العثماني، نال الصربيون إدارة ذاتية جزئية، ولذا وجب على زعمائهم التوافق على كيفية تأسيس الحُكم وتنظيم شؤون البلاد. وفي السنين اللاحقة، واجهوا تحديات أضخم عقب استقلالهم عن الدولة العثمانية، منها تعيين الهيكل الأساسي لعمل الحكومة وعلاقتها بالسلطات الدنيا والإقليمية في المناطق، وتحديد اتجاه السياسة الخارجية للدولة، إضافة إلى الاهتمام بالأحوال المعيشية والاجتماعية.⁽⁴⁾

وقد تمت الحكومة العثمانية هذه التنازلات بسبب خشيتها من قيام انتفاضة جديدة في صربيا وخوفها من أن تتدخل روسيا في النزاع القائم من جديد لصالح الصربيين ولاسيما وان نفوذ روسيا في اوربا ونفوذها فيها أصبح كبيراً جداً بعد الانتصار على نابليون فأستثمر الصرب ذلك.⁽⁵⁾

(1) <http://www.marefa.org/index.php> الثورة الصربية

(2) د. مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص 792 .

(3) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 82-83 .

(4) تشارلز بلافتش وبريارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 65 .

(5) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 83 .



وقد تمت **الإدارة** العثمانية هذه **التسهيلات** بسبب خشيتها من قيام **ثورة** جديدة في صربيا وخوفها من أن تتدخل روسيا في النزاع القائم من جديد لصالح الصربيين ولاسيما وان نفوذ روسيا في أوروبا ونفوذها فيها أصبح كبيراً جداً بعد الانتصار على نابليون فأستثمر الصرب ذلك التي يعيش فيها كل الصربيين وتنظيم العلاقة مع الدول الكبرى والباب العالي فيما يتعلق بالشؤون الخارجية⁽¹⁾.

عام ١٨١٧ عاد قره جورجي الى صربيا حيث كان يفكر في طرد الاتراك من صربيا ولكن ميلوش كان يفضل التفاهم مع الاتراك دون حروب فدب الخلاف بين الرجلين وانقسم الصرب حيال ذلك⁽²⁾ ونتيجة لاختلاف الرأي والتنافس بين الزعيمين الصربيين تمكن ميلوش من قتل قره جورجي عام 1817⁽³⁾ فكان هذا العمل سبباً في قيام الضغائن بين أنصار الأُسرتين وبقيت زمناً طويلاً⁽⁴⁾ وهناك مشكلة أخرى تعزز التنافس بين ميلوش ابرينوفتش وقره جورجي هو موت ميلان أخ ميلوش مسموماً عندما كان يعمل جنبا الى جنب مع قره جورجي في الثورة حيث تبادل الشك بأن قره جورجي أو أحد أنصاره وراء ذلك⁽⁵⁾.

أما عن علاقته بالباب العالي واصل ميلوش سياسته التقليدية من حيث التفاوض واستخدام الرشاوي واطهار الولاء للسلطان والتعاون معه وكان أحد مظاهر هذه السياسة قيامه بتسليم رأس قره جورجي للسلطان والامتناع عن تقديم المساعدات لليونانيين في ثورتهم ضد السلطان ، اما في خصوص رغبته في ان يكون حكمه وراثياً كون جمعيه في منتصف تشرين الثاني عام ١٨١٧ وانتقى اعضائها بنفسه وبعدها بادرة بإعلانه أميراً وراثياً في صربيا لكنه كان بحاجة الى موافقة الباب العالي لكي يجعل الامر نافذاً⁽⁶⁾.

لكن الدولة العثمانية رفضت ذلك وأبدت رغبته في إعادة سيطرتها على صربيا ومنها أدت التعقيدات التي اثارها الانتفاضة اليونانية في عام ١٨٢١ إلى توتر العلاقات الروسية - العثمانية فقدمت الحكومة الروسية في ١٧ اذار عام ١٨٢٦ إنذار الى الحكومة العثمانية وطالبت فيه أن تسحب قواتها من ولاكيا وملدافيا وان تعيد الى الصرب جميع الحقوق التي منحتها اياها معاهده بخارست سنة ١٨١٢⁽⁷⁾. فاضطرت الحكومة العثمانية الى الازعان والتزمت بموجب ميثاق آق كرمان * الذي وقع بين الطرفين في تشرين الاول ١٨٢٦ وبموجبه تكون بلاد الصرب مستقلة تقريباً(حكماً ذاتياً) وتطبق جميع الامتيازات التي وفرتها معاهدة بخارست للصربيين ، ولكن تجدد الحرب بين الدولة

(1) تشارلز بلافتش وبريارا ييلافتش، المصدر السابق، ص 65.

(2) ينظر: د. مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص 792، د. محمد محمد صالح وآخرون. المصدر السابق، ص ٢٢٤.

(3) الآن بالمر، المصدر السابق، ص 268.

(4) د. مجيد خدوري وآخرون، المصدر السابق، ص 242.

(5) الثورة الصربية <http://www.marefa.org/index.php/>

(6) تشارلز بلافتش وبريارا ييلافتش، المصدر السابق، ص 67.

(7) د. هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 84.

* آق كرمان وتسعى في بعض المصادر اتفاقية القرم.



العثمانية وروسيا أعاق تنفيذ هذا الميثاق إلى أن وقعت معاهده اديانوبل (أدرنه) في ١٤ أيلول ١٨٢٩ بين الطرفين التي تؤكد فيها ضمان حقوق صربيا وحقوق روسيا في حماية الصرب والتزمت الحكومة العثمانية بموجها بتنفيذ جميع ما تضمنه ميثاق آق كرمان بشأن صربيا وإعادة جميع الأراضي التي سيطر عليها العثمانيون مؤخراً وأصدر السلطان فرماناً يضيفي الصفة الشرعية على استقلالها الذاتي وجهه إلى باشا بلغراد لتنفيذ جميع المعاهدات والاتفاقيات بين روسيا والدولة العثمانية بشأن صربيا⁽¹⁾.

المرحلة الثانية: ميلوش ابرينوفتش أميراً وراثياً لصربيا (حكومة الصرب الذاتية):

استأنفت المفاوضات بين الجانبين الروسي والعثماني بشأن صربيا أصدر السلطان العثماني فرمان جديد في ١٥ آب ١٨٣٠ وأصبحت الصرب بمقتضاه حكومة ذاتية حقيقية واعترفت بميلوش ابرينوفتش حاكم على صربيا معترف به ويتمتع بحق توريث الحكم في عائلته ويسيطر زعماء الصرب على شؤون بلادهم الداخلية ويتولى الموظفون الصربيون مهام الإدارة من حيث جباية الضرائب وتم تدوين شؤون الكنيسة وكافة الأمور المتعلقة بالمواطنين وتقرر منع العثمانيين من البقاء في مساكن البلاد ومنع تمركز المسلمين في المدن الرئيسية المحصنة ومصادرة ممتلكات العثمانيين بانتظام مع الباب العالي ومزاولة الصرب حياتهم التنظيمية⁽²⁾ غير أن معضلة تحديد تخوم الصرب مع الدول المجاورة بقيت قائمة وفي هذا الصدد دعا ميلوش إلى تطبيق ما حُدد في اتفاقيتي آق كرمان وأديانوبل بأن يشمل نفوذ الصرب الأحياء الستة التي كان قره جورجي قد ألحقها، وقد ساعدت الأوضاع الصرب إذ كان السلطان العثماني حينها منهمكاً في مواجهة تمدد محمد علي باشا والي مصري الشام، فلم يفكر في معارضة مطالبات ميلوش، فبادر بالتنازل عن الأحياء الستة في تشرين الثاني ١٨٣٣ وبهذا التنازل امتدت حدود الصرب حتى نهر تيموك شرقاً إلى نهر الدانوب شمالاً، وجنوباً امتدت من الشرق إلى الغرب شمال مدينتي نيش وراشكا باتجاه شمالي غربي حتى نهر درينا مشكلة الحدود الغربية وداخل تلك التخوم ازدهرت بلاد الصرب وتطورت.⁽³⁾ وقد بات استقلال الصرب يتسع رويداً رويداً بحيث صارت كل الصلاحيات القضائية والتنفيذية والمالية بيد الصربيين واقتصرت سلطة الدولة العثمانية في البلاد على تحصيل الرسوم السنوية وعلى إبقاء حامية عثمانية في العاصمة بلغراد⁽⁴⁾.

واجه نظام الحكم في الديار تحديات من جهة النبلاء الذين باتوا يتمسكون بإقرار دستور يتيح لهم تشكيل هيئة تشريعية لمساءلة الحاكم، وانضم إليهم التجار ورجال الدولة وآخرون ممن كانوا يبعضون الطريقة الاستبدادية والجائرة التي يدير بها ميلوش إدارة البلاد، ولذلك جمعت المعارضة في سنة ١٨٣٥ قرابة أربعة آلاف مناصر لها في تجمع أسفر عن صياغة دستور نصت بنوده على تأسيس هيئة عامة، فما كان من ميلوش إلا أن عين مجلس أعيان

(1) مصطفى كامل، المصدر السابق، ص ١١٣: هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 84: تشارلز بيلافتش، المصدر السابق، ص 67.

(2) هاشم التكريتي، المصدر السابق، ص 85.

(3) تشارلز بيلافتش و بيارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 67 - 68.

(4) د. مجيد خدوري وآخرون، المصدر السابق، ص 242.

من اختياره لا حول له ولا قوة عن قصد، والجدير بالملاحظة أن كل من السلطان العثماني وإمبراطور النمسا وقيصير روسيا ساندوا ميلوش لأنهم جميعاً كانوا يعارضون سن دساتير تؤسس مؤسسات نيابية فعلية، وفي تلك المرحلة بدأ كل من ميلوش ومناوئوه في السعي لنيل دعم القنصليات الخارجية التي شرعت في التأسيس في ثلاثينيات القرن، ففي عام ١٨٣٥ افتتحت النمسا مكتب تمثيل دبلوماسي لها وتلتها بريطانيا عام ١٨٣٧ ثم فرنسا في عام ١٨٣٨، وفي هذه الأثناء وقفت فرنسا وبريطانيا مساندة للدستور ومعارضة لميلوش ولحكمه المنفرد، بينما كانت روسيا تدعم تشكيل هيئة من النبلاء، وعندما أصدر السلطان العثماني ما يُعرف بالدستور العثماني عام ١٨٣٩ أجرى تغييراً على (نظام عام 1835 السابق) ونص على اختيار الوزراء من بين أعضاء الهيئة وتنظيم السلطة القضائية وشغل المناصب المدنية ورسم ملامح لإدارة الدولة في المجالات الأخرى، ورغم الثغرات التي شابته إلا أن هذا النظام أسدل الستار على حقبة الحكم المطلق في أراضي الصرب، فلم يعد الحاكم أكثر من كونه القوة التنفيذية والتشريعية والقضائية الأعلى في البلاد، وأصبحت الحكومة قائمة على عهد مكتوب، وخلال العقدين التاليين مثل هذا المجلس القوة الفعلية في حياة الصرب السياسية انطلاقاً من هذا النظام.⁽¹⁾

لزم على ميلوش كذلك أن يتناول موضوع الكنيسة في إمارته. وكانت مشكلة الكنيسة، التي تشغل كياناً يتمتع بحكم ذاتي، هي عدم بقائها تحت سلطة بطريركية القسطنطينية، وهي هيئة يغلب عليها الإغريق بصراحة. ولهذا، استند في إنشاء كنيسة مستقلة في بلده إلى إذن السلطان لإعادة الكنيسة الصربية التي ألغيت منذ عام 1767م. وبهذا تخلصت الأرثوذكسية الصربية من هيمنة فناري اليونان، وتمكن ميلوش من ترتيب الشؤون الدينية (الإكليروس) حسبما يراه مناسباً. وكان المسعى الأول في هذا الصدد هو اعتباره الكنيسة جزءاً من مؤسسات الدولة، أسوة بالأمراء الأرثوذكس في البلقان. أما بخصوص إنشاء منظومة تعليمية قومية، فلم يتحقق سوى القليل لتحقيق هذا المقصد، لأنه كان يتطلب إمكانيات جبارة؛ فالمدارس تعاني من نقص في الكتب والمستلزمات المدرسية وندرة المعلمين. ولم يطرأ اهتمام بالتعليم إلا بعد سنة 1830م، وشُيّدت دار طباعة في بلغراد عام 1831م، بالرغم من استمرار المعضلة في توفير المواد الورقية. وفي ظل تلك الظروف كافة، بقيت النمسا تمثل مركز الحياة الفكرية الصربية، وظل التعليم متخلف التطور.⁽²⁾

المرحلة الثالثة : ترك ميلوش الحكم إلى أولاده وعودته عام ١٨٥٨ :

في عام ١٨٣٩ وبعد إقرار الدستور لفترة وجيزة غادر ميلوش البلاد مفضلاً ألا يحكم تحت بنود محددة لصلاحياته وأرغمه المجلس على ترك العرش لأنه رفض أن يعرض أية مسألة من المسائل المتنازع عليها بين المجلس والأمير على السلطان العثماني وفقاً للدستور وقد ساند المجلس السلطان ضد عصيان ميلوش على العثمانيين وأجبر على التنازل

الثورة الصربية / <http://www.marefa.org/index.php> (1)

(2) تشارلز بلافتش و بيارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 70-72.

عن الولاية. ⁽¹⁾ إلى ابنه ميلان الذي مات في غضون شهر ثم تلاه ابنه الثاني ميخائيل الذي تولى الحكم من خلال مجلس وصاية لأنه كان في السابعة عشر من عمره ⁽²⁾.

غير أن النزاع استمر بينه وبين المجلس وساءت حالة الفلاح الصربي الاقتصادية كما أن رجال الدين كانوا ضد سياسته التعليمية ولما أراد استعمال القوة لتنفيذ سياسته أجبر على الفرار سنة ١٨٤٢ ⁽³⁾ وعلى الفور انعقدت هيئة عامة سيطر عليها الخصوم السياسيون واختاروا ألكسندر قره جورجي حفيد قره جورجي قائد الثورة الأولى. وكان هذا التحول في قيادة إدارة البلاد دليلاً على الظفر الكامل لمحتجي دستور 1838 الذين عُرفوا لاحقاً بالكتلة الدستورية. وتآلف هذا التجمع من الأعيان ورجال النظام وكبار التجار وغيرهم ممن صاروا ضد السلطة المطلقة التي كان يباشرها ميلوش. وكانوا يطمحون لتأسيس حكم النظام وتنسيق أسلوب التدبير بما يمكنهم من صون مصالحهم. وأكدوا على الشرعية والحرية السوقية وتقدم المعرفة وإصدار تشريعات يطبقها الحكام في المحاكم لإنجاز النزاهة بعيداً عن هيمنة الأمير القائم. ورغم ما بدا من بأس التجمع فإن الوضع الدستوري في تاريخ الإمارة كان مليئاً بالنزاع الدائم بين التجمع والأمير الحاكم. وكان الأمير ألكسندر قره جورجي هو الجانب الأضعف لأن كيانه لم يكن متيناً ولم يكن لديه مؤيدون بارزون ولأنه تسلم الحكم بالانتخاب لا بالخلافة التي كانت متبعة مع عائلة اوبرينوفتش. ومن القضايا التي شغلت النقاش وضعية هيئة الوزراء الذين كان يتم اختيار أعضائها بمعرفة مجلس الأعيان وحدهم. وعلى هذا تزايد ضيق الخلاف بين داعي الأمير وداعي التجمع خاصة بعد عام ١٨٥٥. وفي هذا السياق، أراد الخصوم (الكتلة الدستورية) تجاوز المأزق بسبيل استدعاء هيئة عامة لتقرير حدود سلطات الأمير ألكسندر قره جورجي. وفي هذا الاقتراح، كانوا يبتغون عزله وهي دعوة ساندتها الذين كانوا يميلون لعودة ميلوش اوبرينوفتش للحكم. وعلى أي حال، وافق ألكسندر على استدعاء الهيئة التي عُرفت باسم "سانت أندو" واجتمعت في عام ١٨٥٨ خارج سيطرة الدستوريين وقررت إقالة ألكسندر من الإدارة وأشادت بالأمير ميلوش وهكذا. كانت نهاية الدستوريين وإعادة الحكم المطلق من جديد ⁽⁴⁾ غير أن سقوط نظام الحكم الدستوري وعودة ميلوش اوبرينوفتش لم يحل مشكلات الصرب السياسية فمع عودته كانت هنالك ثلاث مراكز قوى هي الأمير الحاكم والمجلس والجمعية الوطنية التأسيسية التي كانت بمثابة أداة لتغيير الحكام رغم إنها لم تكن منظمة تنظيمياً طبقاً للأصول البرلمانية، ولكن ميلوش بدأ يحكم حكماً مطلقاً حتى وفاته عام ١٨٦٠ وخلفه بعده ابنه ميخائيل الذي أصبح حاكماً للمرة الثانية فكانت المرة الأولى (1831) فكانت فترة صعبة بسبب صغره آنذاك وعندما عاد إلى الحكم مرة ثانية بعد وفاة والده كان في السابعة والثلاثين من عمره وكان ناضجاً وسياسياً واعتبره البعض أعظم حاكم له تأثير في تاريخ الصرب

(1) د. محمد محمد صالح، المصدر السابق، ص 139.

(2) الثورة الصربية / <http://www.marefa.org/index.php>

(3) د. محمد محمد صالح، المصدر السابق، ص 139 140.

(4) تشارلز بلافتش و بيارا بيلافتش، المصدر السابق، ص 72-73.



الحديث، وفي اثناء منفاه ارتحل كثيراً هنا وهناك وتعلم جيداً واكتسب خبرة هائلة⁽¹⁾ واستمرت اسيرة اوبرينوفتش في الحكم الى عام ١٩٠٣ إذ اغتيل اخر رجال السلطة الطامحين إلى الحكم وعاد الى الحكم اسيرة قره جورجي⁽²⁾.

المرحلة الرابعة : استقلال الصرب :

في الفترة بين (1860- 1875) تمتعت الدولة العثمانية بهدوء نسبي لانشغال الدول الأوروبية بما هو أهم من المسألة الشرقية فقد تحققت الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية والحروب مع النمسا كذلك هزيمة فرنسا امام بروسيا واصلاحات القيصر الروسي الاسكندر الثاني⁽³⁾ وفي عام 1875 حدثت ثوره عامه في البوسنه والهرسك هاتين الولايتين ذواتي الأغلبية المسيحية الذين حرموا من المناصب الحكومية⁽⁴⁾.

أدت الثورة الى ارتباك دولي معقدة حيث ظهرت الثورة أول الأمر على هيئة صدامات دينيه بين الأكثرية المسيحية والأقلية الإسلامية واتسع نطاقها وتدخلت صربيا والجبل الاسود مؤيدة للثوار واعداً الدولة العثمانية في البلقان⁽⁵⁾ استمرت الأحداث بالشارع في البلقان فاشتعلت انتفاضة أخرى في بلغاريا سنة ١٨٧٦ التي كانت قد اجتاحتها الروح القومية الثورية التي سارت في المنطقة⁽⁶⁾ وأغراها الموقف الحرج الذي تمر به الدولة العثمانية فضلاً عن دسائس روسيا وصربيا فقد رافق الانتفاضة عمليات قتل لعدد كبير من المسلمين العثمانيين المدنيين على يد البلغار مما جعل رد الحكومة العثمانية يبدو كبيراً اذ قامت بقمع الانتفاضة مما أثارت تلك القسوة في قمع الانتفاضة هياجاً كبيراً في الرأي العام الاوربي ضد الدولة العثمانية وكان على أشده في روسيا وبريطانيا استغلت روسيا الانتفاضة الجديدة في تأجيج حى الحرب في صربيا والجبل الأسود ضد الدولة العثمانية لإيجاد فرصة شرعية للدخول في حرب مع الدولة العثمانية وبالفعل كان لروسيا ما ارادت فقد اعلنت صربيا والجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية⁽⁷⁾.

الثورة الصربية / <http://www.marefa.org/index.php> (1)

(2) د. محمد محمد صالح وآخرون، المصدر السابق، ص 224-225.

(3) مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص 799.

(4) ينظر: هـ أول نشر: تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع (تاريخ اوربا في العصر الحديث (1789-1950) ط5، دار المعارف، مصر ١٩٥٨، ص 369، د. مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص 799، عبد الحكيم عبد الغني قاسم، العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق (١٧٨٩-١٩١٩)، ط1، القاهرة ٢٠٠٩، ص 246.

(5) د. عبد العزيز سليمان نوار د. عبد المجيد، نعي، المصدر السابق، ص 298.

(6) ينظر: أنس العبيدي، المصدر السابق، ص 50-51، هـ أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص 369.

(7) أنس العبيدي، المصدر السابق، ص 50-51.



ورفض الباب العالي طلب صربيا في ضم البوسنة لها اما الهرسك تضم إلى الجبل الأسود وقد أدى هذا الرفض إلى اعلان الجبل الأسود وصربيا الحرب على الدولة العثمانية وفي المقابل شنت الدولة العثمانية الحرب عليهما⁽¹⁾.

انتصر الاتراك على الصرب والجبل الأسود بسهولة لعدم التوافق في العتاد والسلاح مما اجبر امير الصرب على طلب الوساطة الدول العظمى ليحول دون غزو امارته فما كان من روسيا الى ان ارسلت انذار الى الدولة العثمانية تطلب فيه وقف القتال بينهما وبين الجبل الأسود وصربيا لمدة أسابيع فوافقت الدولة العثمانية⁽²⁾ الا ان بريطانيا أجبرت روسيا على حضور مؤتمر جديد عقد في لندن عام ١٨٧٧ من أجل حل الازمة الشرقية غير ان وصايا هذا المؤتمر لم تأت مغايرة لسابقتها فرفضتها إسطنبول على انها قد أجرت اصلاحات ولم ترضى من التدخل في شؤونها الداخلية وكان هذا الرقض بمثابة ضمان لروسيا بعدم تدخل الدول الكبرى في حربيها المقبلة مع الدولة العثمانية واعلنت روسيا في ٤- نيسان 1877 الحرب على الدولة العثمانية الا ان الجيوش الروسية تعثرت في سيرها أمام المقاومة العنيفة العثمانية ولم تستطع الوصول الى قرية سان ستيفانو التي تقع على بعد ثمانية أميال الى الجنوب من اسطنبول الا في 22 شباط ١٨٧٨ بعد ان دخلت جيوش صربيا والجبل الأسود ورومانيا الى جانب روسيا وبهذا هزمت الدولة العثمانية هزيمة تامة⁽³⁾ واصبحت مجبرة على ان تعقد مع روسيا في 3 اذار ١٨٧٨ معاهدة سلام حملت اسم سان ستيفانو وكانت بنودها بالنسبة للدولة العثمانية استسلام غير مشروط للمنتصرومن ضمن بنودها منحت كل من صربيا والجبل الأسود ورومانيا استقلالاً كلياً⁽⁴⁾.

ولكن بعض الدول الأوروبية لم يروق لها ما توصلت اليه روسيا في عقد معاهده سان ستيفانو بحجة أن البحث في مشاكل الدولة العثمانية يعود الى المحفل الاوربي وأشد المتمسكين في هذا الرأي من الدول الأوروبية هي انكلترا وتعتبره مخرلاً بالتوازن الدولي لذلك أجبرت روسيا بالموافقة على اعادة النظر في المعاهدة المذكورة في مؤتمر يعقد في برلين⁽⁵⁾ ومما زاد مخاوف بريطانيا من معاهده سان ستيفانو ان روسيا كانت قد استولت في الجهة الغربية على قارص واردهان وأرضروم وعلى معظم أرمينيا الامر الذي يجعل هبوط الجيش الروسي من وجهة نظر الانكليز ومبالغتها المتعمدة إلى شمال العراق وإلى الخليج العربي وإلى الهند أمر ممكناً جداً⁽⁶⁾ لذي لم تتح الظروف لروسيا ان

(1) ينظر: مصطفى كامل، المصدر السابق، ص222: محمد. م الارناؤوط، المصدر السابق، ص 47 .

(2) د. مفيد الزبيدي، المصدر السابق، ص 799-800 .

(3) أنس إبراهيم العبيدي، المصدر السابق، ص 55-56 .

(4) ينظر: أنس العبيدي، المصدر السابق، ص57، حسين لبيب، المصدر السابق، ص 82، ه. أ. ل. فشر، المصدر السابق، ص370، د عبد الحكيم عيد الغني، المصدر السابق ص 247، كارلتون هيز، ترجمه: د. فاضل حسين، التاريخ الاوربي الحديث، الموصل ١٩٨٧، ص 402 .

(5) عبد العزيز سليمان نوار، د. عبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص 299-300 .

(6) أنس إبراهيم العبيدي، المصدر السابق، ص58 .



ان تحقق ما طمحت اليه اذ لم توافق بنود سان ستيفانو مصالح بريطانيا والنمسا⁽¹⁾ وفي هذا المناخ الدولي المتأزم وغيوم الحرب بين بريطانيا وروسيا متلبدة كانت الفرصة كبيرة لبسمارك ليقوم بدور المنقذ للسلام العالمي بدعوه إلى عقد مؤتمر تحل فيه مشاكل اوربا على حساب الدولة العثمانية دون إراقة دماء الاوربيين وبما ان روسيا كانت منهكة في حربها الصعبة مع الدول العثمانية فقد وافقت مضطرة على عقد مؤتمر دولي في برلين للنظر في بنود معاهده سان ستيفانو التي أبرمتها مع الدولة العثمانية وعقد مؤتمر برلين ١٣ حزيران ١٨٧٨ وأنهى أعماله في ١٧ تموز ١٨٧٨ وبذلك المؤتمر سويت الكثير من المقررات ومنحت صربيا استقلالها التام عن الدولة العثمانية⁽²⁾.

الخاتمة:

بدا واضحاً ان الصرب في ثورتهم قد حققوا نجاحات نتيجة المساندة والدعم الاوربي وخاصة الدعم الروسي وهو الاهم من خلال الضغط على الدولة العثمانية ولكن الاحداث الجارية في اوربا خلال تلك المدة جعل الموقف الروسي يشكل اسناداً متذبذباً ويضعف في بعض الاوقات ؛ وذلك لما تمر به السياسة الروسية حينها من رغبتها بعدم الضغط على الدولة العثمانية وخاصة مدة حقبة التوسع الفرنسي زمن نابليون بونابرت والدعاية السلافية لدول البلقان ولاسيما وان روسيا تعد نفسها الحامية للأرثوذكس في تلك المنطقة وترغب في إبقاء الدولة العثمانية ضعيفة بجانبها أفضل من وصول بعض الدول القوية وتصطدم بها مثل فرنسا او بريطانيا ، ولكن بزوال الخطر الفرنسي تعود السياسة الروسية الرامية الى التوسع على حساب الاراضي العثمانية وممتلكاتها بالنشاط ونجد الصرب يغتنمون تلك الفرصة في الوقوف الى جانب روسيا من اجل الضغط على الدولة العثمانية للحصول على حقوق الحكم الذاتي ، مثلاً حصولهم على ميثاق آق كرمان الذي بموجبية يطالب الباب العالي بتنفيذ ما جاء في معاهدة بخارست التي عقد اثناء توسع الخطر الفرنسي ، ويتجدد الحرب بين روسيا والدولة العثمانية ونتيجة التفوق الروسي وقعت معاهدة أدرنه (أدريانوبل) التي حصلت خلالها صربيا على الاستقلال الذاتي ، وخلال تلك المدة أخذت سلطة الدولة العثمانية بالانحلال ومقابل ذلك تمتع الصرب بإدارة شؤونهم أكثر.

(1) عبد العزيز سليمان نوار، د. عبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص 300 .

(2) ينظر: أنس ابراهيم العبيدي، المصدر السابق، ص 256-257، كارلتون هيز، المصدر السابق ص 404، عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المصدر السابق، ص 247، حسين لبيب، المصدر السابق، ص 83، ه. أ. ل. نشر، المصدر السابق، ص 371 .